سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الثالثة | العدد (154) | 31 آب 2014

التعليم في مناطق تنظيم "الدولة": طفولة تُهدر في الظلام

قانون "ترخيص الأحزاب" بين كانتون الجزيرة والمجلس الوطني الكوردي

شباب الساحل السوري بين القاتل والمقتول

التيارات الصوفية ودورها في الربيع العربي

ريف حلب - إعزاز | كانون الأول 2014
عدسة سوريتنا Basel Hasso

عدد اللاجئين السوريين في دول الجوار وصل إلى 3 ملايين لاجئ

دمشق - زليخة سالم

وصل عدد اللاجئين السوريين «المسجلين» لدى الدول المجاورة يوم الجمعة، ثلاثة ملايين لاجئ، في إطار عملية لجوء جماعي بدأت في آذار عام 2011 وتتزايد يومياً بسبب استمرار العنف في البلاد.

وقالت الأمم المتحدة في بيان لها إن هذا العدد القياسي يمثل زيادة بمقدار مليون لاجئ مقارنة بعام مضى، إضافة إلى نزوح 6.5 مليون داخل سورية، وهو ما يعني أن «حوالي نصف السوريين أجبروا الآن على ترك بيوتهم والنجاة بأرواحهم .

وقال مفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين، انتونيو جوتيريس،: إن «الأزمة السورية أصبحت أكبر حالة طوارئ إنسانية في حقبتنا، ومع ذلك فشل العالم في توفير احتياجات اللاجئين والدول التي تستضيفهم.

وكانت منظمة كير العالمية قد اعتبرت أن وصول عدد اللاجئين السوريين المسجلين في المنطقة إلى 3 ملايين خلال الأيام القليلة القادمة هو بمثابة تنبيه للمجتمع الدولي لأن هذا العدد أكبر بكثير من حجم التمويل المتوفر ومستويات الدعم الحالية .

وقال توماس رينولدز مدير المنظمة الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في بيان أصدرته الأربعاء الماضي بعنوان «ثلاثة ملايين لاجئ مسجّل يجب أن يكون نداء تنبيه» وبثته وكالات الأنباء: إن «الكثير من السوريين الذين تعمل معهم منظمة كير هم غير مسجلين لأنهم يخشون من أن تنتهي أسماؤهم ضمن لائحة قد تسبب لهم عقبات عند عودتهم إلى سوريا، وهناك من لا يقدرون على تحمل مصاريف المواصلات إلى مكاتب التسجيل .

وأضاف رينولدز: «خلف هذا الرقم المذهل هناك أشخاص لا تزال هذه الحرب بالنسبة لهم معاناة مرة يومية من أجل البقاء، هناك عائلات تقيم في بيوت غير مكتملة البناء أو مواقع بناء أو في خيام، لا يملكون المال لشراء الطعام أو الدواء ولا يستطيعون تغطية تكاليف دراسة أبنائهم، فمعظم اللاجئين فروا وليس بحوزتهم سوى الملابس التي كانوا يرتدونها لحظة اضطرارهم لترك بلدهم وحياتهم التي كانوا يعيشونها، فخسروا بيوتهم وأعمالهم وأفراد من عائلاتهم، والآن بعد شهور، وأحياناً سنوات، من كونهم لاجئين فهم لا يملكون أية مدخرات»

وطالبت المنظمة في بيانها المجتمع الدولي بمزيد من التمويل للحاجات المتزايدة باستمرار تدفق اللاجئين السوريين إلى الدول المجاورة، فضلاً عن المجتمعات المضيفة لهم.

وقالت أن «المناشدة التي وجهتها الأمم المتحدة مطالبة بمبلغ 4، 2 مليار دولار أميركي لم يتم تمويلها بأكثر من 27٪، ويقدر مشروع تحليل احتياجات سورية (سناب) بأن العدد الحقيقي للاجئين السوريين في المنطقة قد وصل تقريباً إلى 4 ملايين، بمعنى أن سورياً من كل خمسة قد ترك سورية»

وأوضحت أن لبنان يستضيف حالياً ما يزيد على مليون و100 ألف لاجئ سوري، ويستضيف الأردن حوالي 600 ألف، وتركيا أكثر من 800 ألف، والعراق أكثر من 200 ألف، ومصر أكثر من 130 ألف لاجئ سوري مسجل، ويتوقع أن تزداد الأرقام بشكل مأساوي طالما استمرت الحرب خلف الحدود، إضافةً لنشوب الأزمة الحالية في العراق والمسببة لنزوح مئات الآلاف جراء الصراع الدائر واحتمال أن تزيد من الضغط الناجم عن الأزمة السورية الإقليمية .

في اليوم الدولي لضحايا الاختفاء القسري مطالبات بالكشف عن مصير المختطفين

سوريتنا – لمى علوان

بمناسبة «يوم المختفين» طالبت الحكومة السورية بوقف الاختفاء القسري عنوان الحملة التي تنظمها منظمة العفو الدولية عشية اليوم الدولي لضحايا الاختفاء القسري الذي يصادف في 30 آب من كل عام.

وقالت منظمة العفو الدولية في بيان نشرته على موقعها الجمعة الماضية إن «الاختفاء القسري لا يزال مستمرا في سورية منذ أكثر من عام ونصف، بعدما طالبت الأمم المتحدة سورية بوضع حد لهذه الممارسة البغيضة».

وحثت المنظمة على التوقيع على عريضة المطالبة بالمختفين بقولها: تخيل لو أنك اختفيت من على وجه البسيطة دون سابق إنذار... وأنك تلاشيت خفية كالطيف يحملك عملاء أجهزة الدولة بعيدا، وتُحتجز بمعزل عن العالم الخارجي طوال سنوات... دون أن يعرف أحد يقينا لماذا تم اقتيادك أصلا، ومن قام بذلك، أو ماذا حل بك.

كل سنة، يحتفل في 30 آب باليوم الدولي لضحايا الاختفاء القسري، الذي يهدف إلى تسليط الضوء على محنة آلاف الأشخاص، في شتى أنحاء العالم، ممن أخضعوا للاختفاء القسري ومحنة عائلاتهم، ومنذ اندلاع الاحتجاجات في سورية، في شباط 2011، يتم القبض تعسفاً على آلاف من اشتبه بأنهم من مناهضي الحكومة واعتقلوا؛ وعلى ما يبدو، فقد أخضع العديد من هؤلاء للاختفاء القسري. وبعضهم ما زال مفقوداً، بينما تظل أماكن وجودهم ومصيرهم مجهولاً لعائلاتهم، التي كثيراً ما تبقى في حالة من المعاناة واليأس، وقد أبلغ آخرون ممن تعرضوا للاختفاء القسري ولكن أفرج عنهم في نهاية المطاف، عقب قضاء أشهر قيد الاعتقال السري، منظمة العفو الدولية بما تعرضوا له من تعذيب وسوء معاملة.

وقالت المنظمة أنها تتابع قصص رجلين سوريين أخضعوا للاختفاء القسري: الدكتور محمد بشير عرب من حلب، والصحفي المواطن علي محمود عثمان من حمص، وقد أنتجت فيلماً حول اختفائهما.

وأوضحت أن الاختفاء القسري يقع عندما يُحرم شخص من حريته أو حريتها (بالقبض عليه أو احتجازه أو اختطافه) على يد ممثلي الدولة أو أشخاص يتصرفون بتفويض منها أو بدعمها أو رضاها. وينكر هؤلاء المسؤولين عن ذلك لاحقاً أن الشخص محتجز، أو يخفون مصيره أو مكان وجوده، ما يضعه خارج حماية القانون. ويعتبر الاختفاء القسري جريمة بمقتضى القانون الدولي.

وأدرجت المنظمة على موقعها عريضة للتوقيع، موجهة لرأس النظام تعرب فيها عن القلق بشأن ما يرد من تقارير عن إخضاع الدولة السورية أفراداً للاختفاء القسري، وتشير إلى إن الإخفاء القسري جريمة بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني. وهذه الممارسة تنتهك الحق الإنساني للشخص في الأمن والكرامة، وفي الحياة الأسرية. وطبقاً لنظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، الذي وقعت عليه الدولة السورية، حيث يمكن للاختفاء القسري أن يشكل أيضاً جريمة ضد الإنسانية عندما يرتكب في سياق هجوم واسع النطاق أو ممنهج ضد أي سكان مدنيين.

وتطالب المنظمة بالعريضة الكشف عن مصير جميع من أخضعوا للاختفاء القسري في سورية، وعن مكان وجودهم ووضعهم القانوني، والسماح لهم على الفور بالاتصال بعائلاتهم ومحامييهم، وتقديم أي عناية طبية يمكن أن يكونوا بحاجة إليها لهم؛وعدم احتجاز أحد رهن الاعتقال السري، وحماية من يحتجزون من التعذيب وغيره من ضروب سوء المعاملة، وتقيّد السلطات السورية، دون مزيد من الإبطاء، بالتزاماتها بمقتضى القانون الدولي، وتنفيذ القرار 2139 على نحو فعال، ولا سيما عن طريق وضع حد لممارسة الاختفاء القسري والإفراج فوراً ودون قيد أو شرط عن جميع المحتجزين حصراً بسبب ممارستهم السلمية لحقوقهم الإنسانية، بما فيها حقهم في حرية التعبير والتجمع.

نشاطات فنية وثقافية في الملتقى الثقافي في مدينة عربين رغم الحصار

سوريتنا | رقية سمسم

الحصار المفروض على مدينة عربين بالغوطة الشرقية وانقطاع الكهرباء والانترنيت وكل وسائل الاتصال لم يحلّ دون إرادة الشباب الجامعيين في المدينة بتأسيس مركز ثقافي أطلق عليه " الملتقى الثقافي في مدينة عربين " للقيام بنشاطات ثقافية وتعليمية تخرجهم من حالة الحصار، وتأمين التعليم للراغبين من أبناء المدينة .

وفي الأسبوع الماضي أختتم الملتقى دورة رسم للأطفال الذين يعانون كما أهل المدينة فقدان أهم المستلزمات الحياتية اليومية، والأهم حرمانهم من ممارسة طفولتهم .

واستعان الشباب في بداية تأسيس ملتقاهم الذي تم استئجاره بكتب من المدارس والجوامع المدمرة، إضافة إلى دعم الأهالي والمتبرعين ومساعدتهم في تجهيز الملتقى، وتديم بعض الكتب والمستلزمات، والكراسي والطاولات .

ويتألف الملتقى اليوم من مكتبة وقاعتين للمحاضرات إضافة إلى ركن للاستقبال وركن للإدارة، وصالة مطالعة مفتوحة للعوام تستقبل كل الفئات العمرية، ويقيم عدة نشاطات أهمها دورات شبه مجانية للغات والتمريض والرسم، وكذلك محاضرات ولقاءات واجتماعات ثقافية وتوعوية، ويقوم بعض المدرسين بإحضار طلاب من المدارس للقيام بنشاطات قراءة وحلقات بحث، كما يحتوي مركزا مختصا بتوثيق الشهداء والمعتقلين، وتوثيق الأضرار المادية والدمار الناتج عن العمليات العسكرية المستمرة على المدينة.

ياسين مدير الملتقى قال للجزيرة نت: بعد غلبة الطابع العسكري على الثورة، ازدادت مخاوفنا كطلاب جامعيين ناشطين في الثورة من تراجع وانهيار المجتمع ثقافياً، كما يحدث في مثل هذه الظروف، ومن وقت الفراغ الكبير الذي يعيشه السكان نتيجة الحصار المطبق وصعوبة الخروج من المنازل بسبب القصف المستمر، ما دفعنا إلى افتتاح عدة مدارس في الأقبية بداية، ولكن هذا لم يكن كافياً، ورأينا التفكير في طريقة جديدة للتعليم مختلفة عن طرق التعليم التقليدية المتبعة في سورية،

الأطفال المشاركين في الملتقى | صفحة عربين

فكان الملتقى هو الطريقة الأمثل، موضحاً أن العديد من الشباب استفادوا من الانترنيت في تحميل كتب الكترونية وبرامج تعليمية وثقافية، والبحث عن طرق لجعل الفائدة على أكبر مستوى ممكن .

أحد الشباب المشاركين في تأسيس الملتقى قال: لاحظنا إقبال الجيل الجديد على القراءة وعلى حضور الندوات الثقافية والحفلات التي غالباً ما كانت تتم في المساجد، الأمر الذي دفعنا إلى إيجاد وسيلة تفاعل جديدة بين المثقفين والطلاب الراغبين في القيام بنشاطات ثقافية كتعلم لغات جديدة، وبما أن المسؤولين عن إدارة المركز والإشراف عليه هم ناشطون مدنيون محليون، فإن رواد الملتقى بدؤوا بأنفسهم اقتراح النشاطات التي يريدون القيام بها، وإدارتها بالتعاون مع مشرفي المركز، فعلى سبيل المثال تمكن أحد الشباب من تعلم اللغة التركية عبر الإنترنت والكتب الإلكترونية، وبدأ الآن تعليمها لمن يرغب في ذلك، وهو اليوم يبحث عن مدرس يعلمه اللغة الألمانية.

وأكد ياسين أن الملتقى لاقى إقبالا كبيرا خاصة من الإناث، اللواتي خصص أيام لهن، كما وجد إقبالا من الشباب ممن هم دون سن الثامنة عشرة، ووجد فيه المدرسون فسحة لتقديم نشاطات جديدة ومتنوعة لطلاب المدارس، موضحاً أن عدم القدرة على توفير الكهرباء داخل مقر الملتقى فترات طويلة بسبب الارتفاع الهائل في أسعار المحروقات دفع العديد من رواده للاستعانة بمصابيح يدوية تعمل على البطاريات لإضاءة المكان أثناء القراءة .

وقال: مازلنا بحاجة لتوفير خدمة الإنترنت في الملتقى لتقديمها لأهل المدينة، ولدينا نقص في بعض المستلزمات كالكتب والقرطاسية، ونأمل كما يأمل شباب المدينة استمرار المشروع بعد سقوط النظام والتوسع فيه من أجل تشكيل جيل جديد محب للقراءة، إذ إن عدم توفر الكهرباء والإنترنت ساعدهم على تشجيع ظاهرة القراءة التي أصبحت اليوم أكثر انتشاراً من أي وقت مضى.

حل البعثة المشتركة للمنظمة الدولية وتدمير مخزون سورية من الغاز السام في نهاية أيلول

سوريتنا | تقارير ووكالات

قال الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون إن البعثة المشتركة للمنظمة الدولية ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية التي تشرف على تدمير مخزونات سورية من الغاز السام سيتم حلها في 30 أيلول القادم .

وفي رسالة بعثها بان كي مون لرئيس مجلس الأمن الدولي السفير البريطاني مارك ليال جرانت يوم الأربعاء قال: مع اكتمال تدمير كل مواد الأسلحة الكيماوية التي أعلن أنها ذات أولوية وما أعقب ذلك من مشاورات مع المدير العام لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية فسوف ننهي عمل البعثة المشتركة في 30 أيلول، وسيتم وضع ترتيبات لاحقة لذلك الموعد لضمان عملية انتقال سلس."

وأكد بان أنه سيواصل استخدام سلطته لمراقبة الامتثال لقرار أصدره مجلس الأمن العام الماضي يطالب بالتخلص من كل مخزونات الغازات السامة السورية ومنشآت الانتاج، إلى حين التخلص من برنامج الأسلحة الكيماوية السورية بالكامل .

وأوضح بان المفاوضات لا تزال جارية مع منظمة الأسلحة الكيميائية وسورية بشأن الترتيبات المتعلقة بتدمير ما تبقى من منشآت إنتاج الأسلحة الكيماوية وعددها 12 منشأة .

وفي تقريرها الشهري قالت منظمة حظر الأسلحة الكيميائية: إن بعثة تقصي الحقائق الخاصة بها "تواصل عملها للوقوف على الحقائق المتعلقة بمزاعم استخدام كيماويات سامة "والتي يقال انها الكلور" لأغراض عدائية في سورية، علماً أن لجنة تحقيق تابعة للأمم المتحدة اتهمت في أحدث تقرير لها النظام السوري بإسقاط براميل متفجرة على مناطق مدنية، يعتقد أن بعضها كانت تحتوي على غاز الكلور في ثمان حالات في نيسان الماضي .

وكانت وزارة الدفاع الأمريكية قالت الأسبوع الماضي إن سفينة أمريكية مجهزة تجهيزا خاصا انتهت من تدمير 600 طن مكعب من مكونات الأسلحة الكيماوية السورية الأكثر خطورة التي سلمتها دمشق للمجتمع الدولي هذا العام لتفادي ضربات جوية.

النظام استخدم غاز الكلور في ثمان مواقع خلال شهر نيسان
الحكومة السورية وداعش.. جرائم حرب مستمرة

سوريتنا | حسن صالح

قال محققون يتبعون الأمم المتحدة أن الحكومة السورية وتنظيم داعش يرتكبان جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في الحرب الدائرة في سورية.

وكشف المحققون في تقرير لهم صدر مؤخراً من 45 صفحة في جنيف: أن قوات النظام السوري ألقت براميل متفجرة على مناطق مدنية بينها براميل يعتقد أنها كانت تحوي غاز الكلور في ثماني وقائع حدثت خلال شهر نيسان الماضي وارتكبت جرائم أخرى تستوجب ملاحقتها قضائياً.

وقال فيتيت مونتاربورن وهو مفوض "طالعنا ثماني وقائع لهجمات يزعم أن غاز الكلور استخدم فيها ووجدنا تحديدا أنه وفقا لاختباراتنا الاستدلالية فقد ألقيت من طائرات هليكوبتر حكومية ولاسيما في المناطق المدنية، وغاز الكلور جاء من البراميل المتفجرة.

وأضاف مونتاربورن: إن الأحداث التي بدأت بمظاهرات سلمية ضد بشار الأسد في آذار عام 2011 أصبحت متعددة الأطراف مع انضمام المزيد من الجماعات وفتح مزيد من الجبهات.

وجاء في التقرير إن تنظيم داعش تنفذ حملات في شمال سورية لبث الخوف والرعب مثل بتر الأطراف، والإعدام العلني والجلد، وارتكبت جرائم التعذيب والقتل وأفعالا ترقى إلى الخطف والتهجير في إطار هجمات على مدنيين في محافظتي حلب والرقة تصل إلى حد الجرائم ضد الإنسانية.

وقال باولو بينيرو رئيس لجنة التحقيق الدولية بشأن سورية في بيان له: إن تنظيم داعش يمثل خطراً واضحاً وقائماً على المدنيين ولاسيما الأقليات تحت سيطرته في سورية والمنطقة.

وأكد بينيرو إن محققي الأمم المتحدة أبدوا قلقهم إزاء مصير أطفال أرغموا على الانضمام إلى معسكرات التدريب الخاصة بتنظيم داعش في سورية، وأن الولايات المتحدة يجب أن تضع وجودهم في الحسبان قبل شن أي ضربات جوية، مشيراً إلى أنه من أكثر الأمور إثارة للقلق في هذا التقرير روايات عن معسكرات تدريب كبيرة يجري تجنيد أطفال بداية من سن 14 عاما وتدريبهم على القتال في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية مع بالغين.

وذكر بينيرو أن الجيش السوري والقوات الجوية تواصل ارتكاب تجاوزات خطيرة تشمل القصف الجوي والقصف بالبراميل المتفجرة ولاسيما في محافظات حلب ودرعا وريف دمشق، وقال: ينبغي أن تكون المحاسبة جزءاً من أي تسوية في المستقبل إذا كانت ستتمخض عن سلام دائم، بعد أن أزهقت أرواح الكثير من الناس ودمرت حياتهم.

وجاء في التقرير وهو الثامن للجنة التحقيق منذ تأسيسها قبل ثلاث سنوات، أن العنف استشرى متجاوزا الحدود السورية، والتطرف بات يغذي الوحشية المتزايدة التي تسهم بها الحرب، مبيناً أن تنظيم داعش الذي يجتاح العراق أيضاً في مسعاه لإقامة دولة خلافة عبر الحدود، استطاع أن يجتذب مقاتلين أجانب لديهم الخبرة وتحركهم العقيدة، وبسط سيطرته على أجزاء واسعة في شمال وشرق سورية ولاسيما في دير الزور الغنية بالنفط.

وأوضح أن عمليات الإعدام في الساحات العامة أصبحت مشهداً معتاداً أيام الجمعة في مدينة الرقة، والمناطق التي يسيطر عليها في حلب، ويشهد الأطفال هذه العمليات التي تكون بقطع الرقاب أو إطلاق النار على الرأس من مسافة قريبة، ويتم عرض الجثث في مكان عام، وتعلق في أحيان كثيرة على صلبان قرابة الثلاثة أيام لتكون تحذيراً للسكان المحليين.

وأشار التقرير الذي يستند إلى 480 مقابلة وأدلة موثقة جمعتها اللجنة، إلى ازدياد التقارير عن الاختفاء القسري والاعتداءات الجنسية في مراكز الاحتجاز واعتقال أقارب إناث لأشخاص مطلوبين، وارتفاع عدد الوفيات في السجون السورية، كما يدعم تحليل الخبراء لنحو 26948 صورة يقال إنها التقطت داخل مراكز احتجاز حكومية بين عامي 2011 و2013 "النتائج التي تم التوصل إليها منذ فترة طويلة بشأن التعذيب المنهجي ووفيات المحتجزين.

وقال التقرير "عادة ما يعقب الهدنات القسرية - وهي علامة على إستراتيجية الحكومة في الحصار والقصف - اعتقالات جماعية لرجال في سن القتال ويختفي كثير منهم.

ووضع المحققون وبينهم كارلا ديل بونتي المدعية السابقة بالأمم المتحدة أربع قوائم سرية تضم أسماء مشتبه بهم يعتقد أعضاء اللجنة أنهم ينبغي أن يمثلوا أمام العدالة الدولية.

وجدد المحققون في التقرير دعوتهم لمجلس الأمن الدولي لإحالة الانتهاكات في سوريا إلى مدعي المحكمة الجنائية الدولية.

سيدة تعرضت لغاز الكلور جوبر 2014 | رويترز

غوطة دمشق الشرقية على وقع الحصار

الغوطة الشرقية - أحمد تي

في وسط حصار خانق بات يقترب من العامين، فرضته قوات النظام وساهم بعض التجار في تكريس قسوته، أدى الأمر إلى تفاقم الوضع المعيشي، من مواد غذائية ودواء ومحروقات، فبات ارتفاع أسعار المواد الغذائية يسير بوتيرة متسارعة خيالية، أقرب ما تكون إلى تبدل لوائح البورصات في العواصم الكبرى! ومع نهاية الأسبوع، أغلق سعر كيلو الطحين بتراجع إلى 600 ليرة سورية للكيلو الواحد، واللحم إلى 2800 للكيلو الواحد، وتراوح سعر البرغل والمعكرونة ما بين 600 و650 ليرة سورية في غياب تام للمراقبة، أو لضبط العملية الشرائية.

أحد أسواق غوطة دمشق الشرقية | الجزيرة نت 2014

عصب الحياة ومأساة شرائه:

في ظل غياب المواصلات ووسائل التنقل بسبب الارتفاع الحاد للمحروقات، عملية الزراعة من سقي وحصاد أصبحت كارثة اقتصادية بذاتها. فكان سعر مادة المازوت مع نهاية الأسبوع المنصرم 1900 ليرة سورية، أي ما يعادل 12 دولارا للتر الواحد، الأمر الذي دفع المحاصرين للبحث بشتى الوسائل، عن بديل لتلك المادة التي تعتبر عصب الحياة هناك، فقاموا بإذابة البلاستك لتنتشر مادة جديدة تسمى بالمازوت البلاستك، والذي يتراوح سعره ما بين 800 والـ 1200 متناسبا ارتفاعه بشكل طردي مع سعر مادة المازوت الصافي، علما أن هذا الذي يسمى مازوت البلاستك لا يعطي القيمة الفعالة والأداء الجيد بالنسبة للمحركات، مقارنة مع نظيره الصافي، بالإضافة إلى مخاطره على البيئة والصحة العامة والأفراد.

كذلك يضطر المواطن اليوم، إلى مواجهة أزمة المياه الخانقة، في صيف مشتعل، بنقل المياه بالـ(بدونات) لقضاء بعض من حاجته الماسة للمياه.

قصف مستمر والوضع الطبي يعاني:

يتدهور الوضع الطبي بوتيرة متسارعة أيضا، وتزداد أعداد الجرحى بسبب النقص الحاد في المواد الطبية والأجهزة، حيث يمكن رد جزء كبير من هذا الوضع إلى أسباب الحصار والقصف الهمجي على جميع مدن وبلدات الغوطة الشرقية. كان نصيب مدينة عربين القصف بالغازات السامة (الكلور) والذي راح ضحيته ثلاثة شهداء و 50 إصابة تقريباً، كما قام النظام بقصف مدن الغوطة بـ 8 غارات، اثنتان منها على مدينة حمورية و6 على مدينة دوما، آخرها تحدث الآن، خلال إعداد هذه المادة.

كفر بطنا على كف عفريت:

بعد سيطرة قوات النظام على مدينة المليحة وعلى مجمع تاميكو الواقع بين مدينة كفر بطنا والمليحة، أصبحت كربطنا على كف عفريت، حسب المثل الدارج. ووفقا لروايات عدة يقوم النظام بحشد قوات له في مدينة جرمانا، مما جعل الأهالي في حالة رعب وقلق دائمين، بالتزامن مع قصف مكثف على مزارع المدينة، مع عمليات قنص دائمة يقوم بها النظام من مجمع تاميكو. وأقدم الناس على النزوح الجماعي إلى البلدات المجاورة، الأمر الذي يجعل جميع مدن وبلدات الغوطة على ذلك الكف، وليس كفر بطنا وحدها.

تذكرة الخروج بلا عودة:

ومع انعدام أبسط مقومات المعيشة، وهشاشة الوضع الأمني في الغوطة الشرقية على كافة الاصعدة، بات الخروج من المكان برمته عند البعض هو الحل الأنجع، إذ تشهد الغوطة حالات نزوح كبيرة إلى خارجها، وذلك لن يكون أكثر سهولة، بسبب الحصار المطبق على مدن وبلدات الغوطة، حتى أن من الممكن وفق شهود عيان، أن يصل سعر كارت الخروج للشخص الواحد إلى 150 ألف ليرة سورية تقريبا، ذلك إن وجد مثل هذا العرض السخي أصلا، والذي يعتبره البعض فرصة ثمينة للخلاص من جحيم الحصار.

المنظمات النسائية الكردية "تأسيس" لأجل "التنظيم"

سوريتنا - ديلاور

تنتشر المنظمات المدنية النسائية في مختلف المدن الكوردية ويمتلك غالبيتها مقرات خاصة بها تقيم فيها نشاطاتها وعلى خلاف التنظيمات السياسية يندر أن تجد عملا مشتركا بين مختلف منظمات المرأة الكوردية أو بيانا مذيلا بتوقيع تلك المنظمات العديدة.. ففي مدينة القامشلي وحدها هناك تسعة منظمات مرأة كوردية يمتلك بعضها فروعا في المدن الأخرى وعلى غرار التنظيمات السياسية شهدت بعض التنظيمات حالات انشقاق ادت إلى «تكاثر التنظيمات النسوية»

يعود تأسيس هذه المنظمات إلى «محاولة تنظيم دور المرأة في المجتمع» وفقا لما تقوله شيرين ابراهيم العضوة الإدارية في الاتحاد النسائي الكوردي السوري في سوريا.

ابراهيم منتسبة للحزب الديمقراطي الكوردي في سوريا - البارتي وفيه أيضا منظمة مرأة لكنها لا تجد تناقضا بين كونها حزبية ومنتسبة ل«تنظيم نسائي» وتجد ان عملها في «الاتحاد» و«الحزب» كل له قيمته بالنسبة لها.

النشاطات والفعاليات التي تقوم بها منظمات المرأة في قامشلو وفقاً لشمس عنتر العضوة في منظمة المرأة الكوردية الحرة» تختصر على إحياء الحفلات والمناسبات وبعض الندوات التثقيفية التي رفعت سوية المرأة ثقافياً وإجتماعيا وسياسياً».

عنتر تجد سبب نشوء هذه التنظيمات النسائية» لأن دور المراة في الاحزاب السياسية كان شكليا وثانويا حيث لم تشارك في صنع القرار يوما»

عنتر تعزو سبب تعدد المنظمات إلى تعدد التيارات السياسية «فكل منظمة اما مرتبطة بحزب ما او تدين بالولاء للحزب اوتيار ما، وكل منظمة تدعي انها مستقلة بقرارها ولكن هذه الاستقلالية محددة ضمن اطار لا تستطيع اللعب والعمل خارجه وكذلك تلعب العوامل والمصالح الشخصية دورها»

المنظمات التسعة نشأت بعيد الثورة السورية ومنها منظمتان مختصتان بمناهضة العنف ضد المرأة «اسو.. سارا» أما المنظمات السبعة الأخرى «شاويشكا.. رونـي.. المراة الكوردي الحرة.. الاتحاد النسائي الكوردستاني.. افرين.. مبادرة المرأة السورية» فتعمل في مجالات المرأة والطفل بشكل عام.

التعليم في مناطق تنظيم "الدولة الإسلامية"
طفولة تُهدر في الظلام

■ الرقة - فهد الزرعي

في شهر أيلول كان يحلو لأطفال سوريا وأهاليهم، عيش أجواء من المسرة مع عودة العام الدراسي وذهاب الأولاد للمدارس، حيث يتعلمون ما يعينهم على بناء مستقبلهم، فالكل يحضر اللباس الجديد والقرطاسية، أما اليوم وفي الرقة الحبيبة، فيستمر مسلسل تجهيل أجيال بكاملها، بعد أن حرمت عدة أعوام من رشف العلم، وتزداد المعاناة في ظل سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية، من خلال قوانين وتعليمات لا تمت للإسلام بصلة، ويجمع الجميع على أن حرمان الأجيال من التعليم أخطر من البراميل والطيران والصواريخ، لأن التدمير الذي تتركه الطائرات آني، أما الجهل فآثاره التدميرية تمتد عقوداً.

فرض تنظيم الدولة تعليمات كثيرة، منها ما قد يقبله الشرع والعقل والمنطق، ومنها ما لا يمت إلى ما سبق بصلة، فقد منع التنظيم كل مظاهر الاختلاط، والمقصود بالاختلاط هنا منع المدرسين الذكور من تدريس الإناث، ومنع المدرسات من تدريس الذكور، وهذه الخطوة سيكون لها آثار خطيرة إذا طبقت دون دراسة واعية ومتأنية، لأنه وكما يعلم الجميع، أغلبية من يدرّسون في المرحلة الابتدائية هم من المدرسات، وغالبية من يدرّس في المرحلتين المتوسطة والثانوية هم من المدرسين الذكور، والتقيد بحرفية القرار يؤدي لحرمان شريحة كبيرة من التعليم.

ومن المضحك المبكي فوق ذلك كله، رفض تنظيم الدولة العروض المقدمة من قبل المدارس الخاصة، بإلزام الطالبات بالحجاب الكامل بدءاً من غطاء الوجه ولبس القفازات، على أن يسمح للمدرس بتدريس الطالبات، ومع رفض تنظيم الدولة العرض اضطرت المدارس لاستخدام التقنيات الحديثة، حيث يعطي المدرس الدرس وحيداً بغرفة والطالبات يجلسن في الصف يشاهدنه عبر الشاشة، وتجلس مشرفة مع الطالبات تتولى توزيع المكرفون على الراغبات بتوجيه سؤال للمدرس، هذا يحدث فعلا في سوريا وعلى أرض الواقع.

أما المناهج فقد صدرت تعليمات بحذف مواد كاملة، وإضافة مواد كاملة، لكن المنهج الدراسي الذي سيُعمل به هذا العام سيكون هو المنهج السوري ريثما تنتهي لجنة المناهج المشكلة من قبل التنظيم من عملها، والمؤلفة من لجان متخصصة يشرف عليها مدرسون اختصاصيون تابعون للتنظيم، مكلفة بإعداد المناهج الخاصة بالدولة الإسلامية، فقد أصبحنا أمام مشكلتين، مشكلة حرمان جيل كامل من التعليم، وتعليم القسم الآخر مناهج لا نعلم حتى الآن محتواها حتى نحكم عليها.

وعمل التنظيم على إنشاء ديوان التعليم في المناطق التي سيطر عليها، ورغم سماحه للمدرسين العاملين بالمدارس الحكومية بالاستمرار في عملهم، إلا أنه ألزمهم بحضور دورة شرعية، ومن لا يخضع للدورة الشرعية عليه النجاح بالامتحان التحريري حتى يُسمح له بالتدريس، وينطبق الأمر على المدرسات، بل كانت دورة المدرسات أصعب من دورة المدرسين!.

أطفال في زي إجباري لتنظيم الدولة في مدينة سراقب 2013

وقد استقطب ديوان التعليم، المئات من المدرسين الذين تعاقدوا مع التنظيم، منهم من بايعه، ومنهم عمل معهم دون أن يقوم بالبيعة.

ولا ننسى هنا معاناة الأهالي وخوفهم من إرسال أبنائهم للمدارس، في ظل عودة وتيرة القصف، هذا عدا استمرار السيطرة من قبل التنظيم على كثير من المدارس، وتحويلها لمقرات أو دوائر خاصة بالتنظيم.

وقد منع كثير من أبناء المناطق التابعة للتنظيم من تقديم امتحانات نهاية المرحلة المتوسطة، وشهادة الثانوية العامة في مدنهم، فاضطروا للذهاب إلى حلب أو دير الزور أو القامشلي، في رحلة تستغرق ثماني ساعات على أقل تقدير، يمرون خلالها على عشرات الحواجز الأمنية.

اليوم، أن تتعلم في سورية يعني أن تسير في حقل ألغام، ورغم ذلك تصر أغلبية ساحقة من السوريين على تعليم أبنائهم وتحمل الأخطار، وبيع ما يملكون في سبيل توفير ما يمكن من معارف لأبنائهم في هذا الظرف الصعب.

أحد عناصر تنظيم، قال لدى استيضاحنا إياه حول هذه المسألة، إن هدفهم هو «خلق جيل مسلم متحرر من الأفكار الإلحادية التي شوهت الدين وأفسدت الحياة، ومنعنا للاختلاط يندرج في إطار تحريم الإسلام الإختلاط بين الجنسين، ودرءاً للشبهات وابتعاداً عن الفتنة، فالأخلاق مقدمة على العلم، ونحن نريد أن نجمع بينهما».

وبالنسبة لقيادي شرعي في تنظيم الدولة، فإن «الدورات الشرعية في العقيدة والفقه للمدرسين هي في الأساسيات التي ينبغي ألا يجهلها المسلم العادي، فكيف بالمربي الذي يبني الأجيال؟، نريد بناء جيل ولاؤه لله وحده، ويعمل على رفع راية التوحيد وإعزاز الدين».

محمد، المواطن المقيم في مدينة الرقة والمناصر للتنظيم في توجهاته، أكد بدوره أن هذا العام اقتصر على «منع تدريس بعض المواد، وحذف أجزاء محددة من بعض المواد الأخرى، ريثما تنتهي اللجان من إعداد المناهج الخاصة بالدولة الإسلامية والقادرة على بناء المسلم».

وقال الشيخ أبو أحمد الذي يقيم في المدينة منذ عقود، معترضا على تطرف التنظيم في فهم قواعد الدين: «الفصل بين الجنسين على الإطلاق ليس من الشرع، فالنساء كن يصلين في المسجد الذي يصلي فيه الرجال، وقد خصص النبي صلى الله عليه وسلم يوماً للنساء يعلمهن فيه أمور دينهن، ولم يقل أحد حينها إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر لا يحل له تدريس الإناث، وبطون الكتب تحدثنا عن آلاف النساء الفاضلات اللواتي تعلمن على أيدي الرجال».

ويؤمن الطبيب محمد على هذا الرأي معقّباً: «لقد أصبحنا بين خطر الجهل وخطر القصف وخطر الفكر، وكل خطر أقوى من صاحبه، وما نمر به يجعل الحليم حيران، لكننا سنستمر بتعليم أبنائنا وتوجيههم التوجيه الصحيح ريثما يفرج الله عنا ما نحن فيه».

وبين قطاع المدرسين أنفسهم، تختلف الآراء وتتباين حول التعديلات الأخيرة في المسار التعليمي، فالمدرس الرقاوي عمار يعتبر أنها خطوة جيدة في نواح ومخطئة في نواحي أخرى. «حسناً فعلت الدولة الإسلامية بمنع تدريس التربية القومية الاشتراكية أو الوطنية التي تمجد الظالمين وتروج لكذبهم، ولكن التنظيم تشدّدَ في أشياء لا ينبغي التشدد بها، فمناهج المواد العلمية جيدة وتتميز بمستوى علمي ممتاز لا علاقة له بالنظام من قريب أو بعيد، أما المواد النظرية فتحتاج إلى تنقيح ومراجعة، لكن مستواها العلمي جيد، فقد تمّ أعدها خبراء سوريون يشهد لهم، فإذا أردنا البناء يجب ألا ننسف

جهد الآخرين، فليس كل ما عند النظام شر، فالنظام شيء والدولة شيء آخر».

ويعاني كثير من الطلاب من القلق نتيجة الخوف من المجهول، وفقا لمحمود الطالب في مدارس المدينة الثانوية، حيث «لا يستطيعون الذهاب لمناطق النظام لأسباب أمنية أو مالية، فالدراسة بلا شهادات، هذا عدا اضطرار كثير من الأطفال نتيجة الفقر، للعمل أو السفر، وقوانين التنظيم وعقليته المغلقة ستضاعف التسرب من المدارس».

وأوضح الطالب الجامعي النازح إلى المدينة سعيد، أن كثيرين من الطلاب سيحرمون من التعليم الجامعي «نتيجة إغلاق بعض الجامعات وعدم قدرة الكثير من الطلاب على الذهاب إلى الجامعة في حلب بعد إغلاق معبر بستان القصر، ناهيك عن اعتقال الطلاب بشكل تعسفي من قبل الأمن والشبيحة»، وأضاف: «قام تنظيم الدولة الإسلامية بالتضييق على الطلاب والموظفين في فرع الجامعة بالرقة، حتى أغلقت العام الماضي بأمر من وزارة التعليم العالي، وقامت بداية هذا العام بالسيطرة على جامعة الاتحاد- فرع منبج، وطرد طلاب السكن الجامعي وإسكان عناصرها فيه، وأصبحت جامعة الاتحاد في منبج ثكنة عسكرية لتنظيم الدولة الإسلامية، وجامعة الاتحاد خاصة وهي ملكية شخصية، فانتقلت الجامعة إلى دمشق وحلب، مما دفع كثيرا من الطلاب المطلوبين إلى إيقاف مسيرتهم التعليمية أو الانتقال إلى جامعات تركية».

وعقّب أحد أصحاب المهن الحرة واسمه أبو عمر بالقول إن تنظيم «يجذب اليافعين للانضمام لصفوفه، تاركين المدارس والتعليم، ممسكين بعصا الجهل والتكفير، وهذا سيهدم جيلاً كاملاً، وحتى لو أعدنا التعليم الحديث والمدارس، فتبعات التكفير والغلوّ الذي تعلّمَه منتسبو التنظيم ومناصروه لا تذهب آثارها بسهولة لزمن طويل».

ويسود رأي عام اليوم في المناطق الخاضعة لنفوذ التنظيم في سوريا، بأن النزعة الاستبدادية التي طبعت سلوك نظام الأسد معهم، هي هي تلك التي يقتدي بها التنظيم، حيث يستخدم التعليم والمدارس لتجهيل جيل كامل مستخدما صلاحياته، ومغيرا في التعليم بخطط غير مدروسة وربما مدروسة لهدف يخدم انغلاقهم وظلاميتهم، ويحقق أهدافا إستراتيجية ليس بينها أن ينعم النشء السوري بمعارف حديثة صحيحة يسترشد بها في بناء وطنه.

وكانت مديرية المناهج التابعة للتنظيم قد أصدرت يوم الخميس، تعميماً إلى كافة المؤسسات التربوية والتعليمية، يتضمن تعليمات تتعلق بالمنهاج الدراسي الجديد، حسب ورقة بيان ألصقها التنظيم في شوارع مدينة الرقة.

وألغى «التنظيم» وفق التعميم مواد (التربية الفنية الموسيقية، التربية الوطنية، التربية الاجتماعية، التاريخ، التربية الفنية التشكيلية، الرياضة، قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية، التربية الدينية الإسلامية، التربية الدينية المسيحية) بشكل كامل من المناهج الدراسية، على أن تضاف مواد تعويضية من «مديرية المناهج في الدولة الإسلامية».

كما نص «شطب جملة الجمهورية العربية السورية أينما وجدت واستبدالها بالدولة الإسلامية»، و«شطب جملة وزارة التربية واستبدالها بوزارة التربية والتعليم»، بالإضافة إلى«طمس جميع الصور التي لا توافق الشريعة الإسلامية».

وجاءت أيضاً تعليمات «بحذف النشيد العربي السوري أينما وجد، وعدم تدريس مفهوم الوطنية والقومية وإنما الانتماء للإسلام وأهله، واستبدال كلمة الوطن أو وطننه أو سوريا أو وطني أينما وجدت بالدولة الإسلامية أو دولته الإسلامية أو بلاد المسلمين أو ولاية الشام».

ولم تقتصر الورقة على ذلك، بل تضمنّت «حذف أي مثال في مادة الرياضيات يدل على الربا أو الفوائد الربوية أو الديمقراطية أو الانتخاب، وحذف كل شي في مادة العلوم يتعلّق بنظرية دارون أو رد الخلق للطبيعة أو الخلق من عدم، ورد كل الخلق للّه سبحانه وتعالى»، هذا واعتبر التنظيم تلك التعليمات «ملزمة وتستوجب على المخالف المحاسبة».

وفي هذا السياق، أعلن «ديوان التعليم في الرقة اليوم عن دورة شرعية مدّتها أسبوع، تبدأ من يوم السبت لكافة مدراء ومعلمي المدارس ذكوراً وإناثاً»، و«يمنع أي مدرّس أو مدرّسة من التدريس في مدارس الرقة إلا بعد الخضوع للدورة، تحت طائلة المسائلة الشرعية»

هذه الخطوة ليست الأولى لدى حركات الإسلام الأصولي والسياسي الذي يحتل التعليم دائرة اهتمامه الأولى، في حين تحتل مكانة ثانوية لدى الأنظمة العربية والإسلامية .

وفي هذا المجال حذر الكاتب غسان الإمام في جريدة الشرق الأوسط من ازدياد الخطر أكثر وأكثر عندما يحول الإسلام الأصولي مدارسه إلى معسكرات تدريب على العنف السياسي، وكأي عنف إيديولوجي فهو يحتاج إلى «عدو» يتوجه إليه بزخم وعنفوان التمرد الديني .

وإذا كانت الصهيونية كآيديولوجيا مغتصبة ومحتلة واستيطانية مقبولة كعدو بديهي، فالعداء الموجه للنظام السياسي وحتى للغرب لا بد من إخضاعه لجدل وحوار يعجز الجيل الأصولي ومدارسه وأساتذته عن ممارستهما وقبول نتائجهما .

وقال: لم يتعامل النظام الإيديولوجي العربي سواء كان قوميا أو اشتراكيا أو ماركسيا مع التربية والتعليم كقضية سياسية، وإنما كقضية إدارية، فلم يطرأ تغيير يذكر على المناهج الدراسية في الجامعة والمدرسة، ولا سيما التعليم الديني. ولهذا السبب أنتج هذا النظام ونظام الشخص أو الطائفة أو العشيرة الذي ورثه، أجيالا أقرب إلى الأصولية المتزمتة منها إلى أجيال منفتحة على ثقافة العصر.

و تمكنت حركات الإسلام الأصولي من فتح مدارس دينية، كما في إيران وباكستان واليمن وأفغانستان وربما في السودان والجزائر. لكن اعتمادها الأساسي كان على المعلم. فهو عندها رأس الحربة التي اخترقت به الجامعات والمدارس والأجيال، حتى في الدول ذات الأنظمة الراديكالية .

إن القلق الذي ينتاب أي إنسان يعتبر التربية والتعليم العامل الفاعل في تنشئة الأجيال وتشكيل معرفتها وأفكارها، راجع إلى الفلسفة المعتمدة في مضمون وأسلوب التعليم الديني سواء في المدرسة الرسمية أو الأصولية.

وما زال إسلام النقل الذي ازدهر في القرون الوسطى هو المنهج وهو الأساس في التعليم الديني. ولأن الفقه الديني في ذلك العصر نشأ في ظروف الإحباط السياسي والحكم الأجنبي وانعدام المبادرة العقلية بعد إغلاق بوابة الاجتهاد والتفسير، فهو يشكل خطرا كبيرا على عقول الأجيال الجديدة، انه فقه يعتمد التلقين والتقليد. المعلم هنا هو الموجه وهو المرشد وهو الملقن، والطالب هو المتلقي والمستقبل بلا أي نقاش واعتراض، وبلا أي حوار حتى في المسائل الخلافية التي اجتهد فيها رواد التفسير والاجتهاد في قرون الإسلام الأولى .

قد يتاح للجيل الجديد بعض ثقافة العصر ومعارفه وعلومه في المدرسة والجامعة الرسمية. لكن المدارس الدينية تكاد تكون خالية تماما من تنويع الثقافة، الأمر الذي يربي أجيالا غريبة العقل والذهن عما يجرى في هذا العالم من سياسة وعلم وثقافة.

الإنسان مهما بلغت كفايته الذاتية لم يعد يستطيع أن يعيش بمعزل عن العصر، وعن الثقافة الإنسانية. ولا يمكن تبني طرائق العلم الغربي دون اطلاع على الفكر والعقل اللذين ولدا هذا العلم وطوراه، لذلك، لا بد من تطعيم مناهج التعليم الديني بالعلوم الاجتماعية لتساهم في توسيع أفق الطالب الديني، وتنويع معرفته وثقافته، وتأهيله لوعي قضايا مجتمعه وفهم نسيجه المعقد. وبالتالي تأهيل التعليم الديني للتكيف مع حاجات العصر ومستلزماته وظروفه.

الدولة الإسلامية
خلافة على منهاج النبوة
ديوان التعليم
وقل رب زدني علما
التاريخ الهجري / /1435
رقم التعميم: 00001
مديرية المناهج في الدولة الإسلامية
تعميم إلى كافة المؤسسات التربوية و التعليمية
1. تلغى من المناهج الدراسية المواد التالية بشكل نهائي (التربية الفنية الموسيقية- التربية الوطنية- دراسات اجتماعية – التاريخ -التربية الفنية التشكيلية- الرياضة- قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية -التربية الدينية الإسلامية-التربية الدينية المسيحية) على أن تضاف مواد تعويضية من مديرية المناهج في الدولة الإسلامية.
2. شطب جملة الجمهورية العربية السورية أينما وجدت و استبدالها بالدولة الإسلامية.
3. شطب جملة وزارة التربية و استبدالها بوزارة التربية و التعليم.
4. طمس جميع الصور التي لا توافق الشريعة الإسلامية.
5. حذف النشيد العربي السوري أينما وجد.
6. عدم تدريس مفهوم الوطنية والقومية وإنما الانتماء للإسلام وأهله والبراءة من الشرك وأهله ان بلاد المسلم هي البلاد التي يحكمه فيها شرع الله.
7. يسد المعلم نواح النقص بالنسبة لمادة قواعد اللغة العربية للمرحلة على الحذف بأمثلة لا تتعارض مع الشريعة أو سياسة الدولة الإسلامية.
8. تستبدل كلمة الوطن أو وطنه أو سوريا أو وطني أينما وجدت بالدولة الإسلامية أو دولته الإسلامية أو بلاد المسلمين أو الدولة الإسلامية أو ولاية الشام ... الخ.
9. حذف اي مثال في مادة الرياضيات يدل على الربا أو الفوائد الربوية أو الديمقراطية أو الانتخاب.
10. حذف من مادة العلوم كل شيء يتعلق بنظرية دارون أو رد الخلق للطبيعة أو الخلق من عدم و رد كل الخلق لله سبحانه وتعالى.
11. يقوم المعلم بتنبيه الطلاب دائما إلى أن قوانين الفيزياء و الكيمياء هي قوانين الله في الخلق.
12. يعتبر هذا التعميم ملزم ويستوجب على المخالف المحاسبة.
و الله الموفق
مسؤول ديوان التعليم
مسؤول المناهج
مسؤول ديوان التعليم

تعميم المناهج الدراسية من ديوان التعليم في تنظيم الدولة

إطلالة على وضع المرأة في المناطق الخاضعة لتنظيم الدولة

■ الرقة - ناصر المحمود

صان الإسلام المرأة وحفظ حقوقها، فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، وشريكة في تحمل أعباء الحياة وتربية الأبناء، وشريكة في كل تفاصيل الحياة. بايعت المرأة الرسول في بيعتي العقبة الأولى والثانية، وهي بمثابة انتخابات ذلك الزمان، وكرمها الله بأن كان أول شهيد في الإسلام امرأة، هي سمية أم عمار بن ياسر، وشاركت المرأة الرسول في المعارك، وروت عن الرسول الكريم الحديث، ومع ظهور تنظيم الدولة الإسلامي وإعلانه تطبيق شرع الله في أرجاء مناطق سيطرته في العراق وسوريا، أصدر القوانين التي تعمق سيطرته، وكان للمرأة نصيب وافر من هذه القوانين، ففرض الخمار المختلف عليه شرعياً، وضيق على النساء بحجة التبرج والنقاب والاختلاط والسفر بلا محرم.

عناصر الحسبة يقومون بهذا الدور بفعالية اليوم في شوارع الرقة. ولكي تطبق قوانينه على أكمل وجه، شكل قياديون في التنظيم كتيبة نسائية في الرقة هي (كتيبة الخنساء)، وهي بقيادة المهاجرة التونسية (أم ريان) وجميع عناصرها من النساء. مهمتها ملاحقة النساء اللواتي يخالفن قوانين تنظيم الدولة من لباس شرعي وتبرج والسفر بلا محرم وغيرها، وتقوم عناصر الكتيبة بتوعية النساء المخالفات وتنفيذ الأحكام في حال وجوب ذلك. وهذه الإجراءات التي قام بها تنظيم الدولة، أثارت رضا البعض من مبدأ الحض على عفة المرأة، فيما أثار سخط البعض الذين يرون في تطبيق هذه القوانين طريقة لجعل الناس يشعرون بالخوف الدائم، بعدما أرهبوا الرجال بملاحقتهم بتهم الانضمام للجيش الحر والتدخين وغيرها، وتبقى نظرة المجتمعات الشرقية بكل الأحوال، للمرأة، موضع خلاف قديم في عالمنا الإسلامي والعربي، وتجدد هذه الخلاف مع تطبيق تنظيم الدولة الإسلامية قوانينه التي كثيرا ما توصف بالجائرة، على النساء السوريات.. تساؤلات كثيرة حول الهدف من تطبيق هذه القوانين، وطريقة التنفيذ، ومساوئ ومحاسنها، حملناها إلى عدد من الأشخاص في مناطق سيطرة تنظيم الدولة داخل سوريا.

حسن، المدرس السابق أوضح أن التنظيم "متشدد بالتعامل مع المرأة، وهذا التشدد ليس لتطبيق الشرع وإنما لممارسة سلطته وتحكمه بالعباد، فالجهاد الحقيقي على جبهات النظام، الذي يقتل منا العشرات بطائراته، بينما عناصر داعش يلاحقون الناس من أجل الدخان، ومن أجل الخمار وغيره".

وأكدت الطالبة الجامعية فاطمة كذلك أن "تشديد التنظيم علينا يجعلنا عرضة لتجاوزات عناصره، الذين كثيرا ما يتعرضون لنا بدون حجة، وبعضهم وجد في التنظيم ضالته للتحدث مع البنات دون رقيب".

بدوره روى محمد، وهو طالب جامعي أيضا، أن عناصر داعش قاموا قبل فترة وجيزة "بإنزال امرأة مسافرة بلا محرم عند حاجز في مفرق أثرية، وطلب من الباص إكمال طريقه، وبقيت المرأة عند عناصر التنظيم"، وتابع مستنكرا: "أتساءل هل أصبح لديها محرم عندما أنزلوها عندهم؟!".

حكايات مشابهة يرويها أهالي المدينة. صالح، المدرس الثانوي حكى لنا أمرا آخر. "كنا

إحدى مدارس الرقة 2014 | AFP

مرة في اجتماع من أجل التعليم، وفي موضوع فصل الإناث عن الذكور من المرحلة الأساسية، قلنا لأحد مسؤولي التعليم إننا غير قادرين على الفصل، لأن المدارس لا تستوعب الطلاب إذا فصلناهم، ورد بكل برود: بلا ما يتعلموا الإناث! طبعاً هذا يمثل نفسه، ولكن هناك كثيرين يشاطرونه النظرة الفوقية هذه إلى المرأة، خصوصا في صفوف التنظيم وبشكل عام بين أنصاره".

ويختلف عبد الكريم، الطالب الجامعي مع سابقيه بخصوص مدى تشدد التنظيم في تطبيق أفكاره، مضيفا أنه "رغم تشدد تنظيم الدولة فإن قوانينه ما تزال ضمن المقبول، يسمح للأطباء بمعالجة النساء، ويسمح للمرأة بقيادة السيارة وركوب الدراجة النارية وراء زوجها أو محرم، حيث تنتشر هذه الظاهرة لدينا، ولكن إذا طبقت قوانين التنظيم في فصل الإناث والذكور سيكون كثير من أبنائنا خارج المدرسة، لأن مدارسنا ومدرسينا لا يمكنهم تغطية الفائض في حالة الفصل".

ورأى صادق من جهته، وهو أحد سكان المدينة ومن ذوي الأطفال في المرحلة الأساسية، أن الإعلام "يبالغ كثيراً في ظلم تنظيم الدولة وفي موضوع المرأة خصوصاً، التنظيم يحرص على تطبيق شرع الله، لذلك يجد كثير من دعاة السفور والعلمانية تنفيذ الشرع ثقيلا عليهم، الدكتورة رؤى دياب التي نشرت اسمها كثير من صفحات التواصل الاجتماعي بأن تنظيم الدولة أعدمها لأنها عالجت رجلاً مثلا، وكثير من الإشاعات الأخرى التي تنتشر هنا وهناك وتريد أن تشوه صورة التنظيم. أستطيع أن أؤكد أن هذه الأخبار عارية عن الصحة"، وأردف: "كثير من النساء يقدن سيارات في مناطق تنظيم الدولة، وهذا دليل أن قوانين التنظيم ليست مجحفة بحق المرأة".

ويرى صلاح أن العقلية هي المشكلة وليست القوانين، لأن "داعش لديها عناصر مسيئون، وهؤلاء لديهم اليوم سلطة وكثير منهم كان له علاقات مثل أي شاب، وصعب أن يتغير بين يوم وليلة".

ولدى توجهنا بهذه الاستفسارات إلى عناصر التنظيم، أوضح أحدهم أنه ورفاقه "حريصون على تطبيق الشرع الإسلامي بكل تفاصيله، لأن الله أمرنا بهذا، وبالنسبة للتضيق على النساء كما يدعي البعض، نحن نطبق الشرع الإسلامي، وكي يكون تطبيق الشرع أكثر فاعلية وخصوصاً للمرأة أنشأنا كتيبة نسائية توكل لها مهمات توعية النساء المخالفات، ومراقبتهن وتنفيذ الأحكام إذا لزم الأمر، ودعوتنا للحجاب الشرعي تنطلق من حرصنا على المرأة ليس إلا".

محمود، صاحب محل تجاري في المدينة، يحاول اليوم أن يداري آراءه الليبرالية شأن كثيرين في مناطق سطوة داعش. يقول: "التنظيم يتعامل على أن المرأة تابع للرجل، بينما العالم اليوم تغيّر، فأصبحت المرأة طبيبة ومدرسة ومهندسة، وهي قادرة على مواجهة الحياة، المرأة المتعلمة تدافع عن نفسها أفضل من غيرها، لذلك يجب الاهتمام بتعليم المرأة، إذا لم تتعلم المرأة، كيف يقبل عنصر التنظيم لطبيب أن يعالج زوجته أو ابنته مثلاً؟".

وبرأي طه الطالب الجامعي فإن التنظيم حرم النساء السوريات وغير السوريات كثيرا من حقوقهن، "حقها في مشاركة الرجل في العيش المشترك، طالما النساء بايعن الرسول فهذا يعني أن للمرأة دورا سياسيا في زمن الرسول، وكانت تشارك في المعارك، فليس من المعقول أنها كانت تشارك في المعارك وهي تلبس الخمار بهذا الشكل، وليس من المعقول أن الإسلام كان متشددا بهذه الصورة التي تطبقها داعش".

وذهب عمرو في الاتجاه نفسه، مؤكدا أن المرأة السورية والرقاوية تحديدا "شاركت في المظاهرات في عموم البلاد، وهي أم المجاهد وأم الشهيد، وشاركت في مختلف النشاطات خلال الثورة، وأسست جمعيات وهيئات، ونشرت في الصحف، فهي قادرة على العطاء، يجب المحافظة على عفافها، ولكن هذا لا يتناقض مع عملها ودورها الاجتماعي الفعال".

وليست النساء الفئة الوحيدة المستهدفة بقوانين تنظيم الدولة وإرهابه الاجتماعي والفكري والفعلي، وبين الفئات المستضعفة الكثيرة اليوم في جنبات "ولايات" دولة "الخلافة" المزعومة، تنكتم صرخة مظلوم طويلة على شفاه مسلمين طيبين، لم يحدث خلال القرون أن جاء من يقول لهم لستم بمسلمين، ويدمر فوقهم حضارة بلادهم وتقدمها، ويحرمهم من أبسط حقوقهم.

قانون "ترخيص الأحزاب"
بين كانتون الجزيرة والمجلس الوطني الكوردي

■ عامودا - ميديا الصالح

انتهت المهلة المحددة لترخيص الأحزاب السياسية، والتي أصدرتها ما تسمى "الإدارة الذاتية" المعلنة من قبل حزب الاتحاد الديمقراطي وحلفائه في 21 كانون الثاني 2014، وقد أصدرت هيئتها التشريعية قانوناً يقضي بترخيص الأحزاب السياسية الكوردية في 17 نيسان 2014.

يتألف القانون من 22 مادة، وفيها طلبت "الذاتية" من "الأحزاب المؤسَّسة قبل صدور هذا القانون التقدم بطلب التأسيس خلال 45 يوماً من نشر هذا القانون تحت طائلة المساءلة القانونية".

كذلك، قررت "الإدارة الذاتية" اتخاذ إجراءات كالاعتقال وإغلاق المكاتب الحزبية و"فرض غرامات مالية تتراوح بين 50 – 200 ألف ليرة سورية ما لم يتم الترخيص في المهلة المحددة"، والمقصود بها مهلة الـ45 يوما التالية لصدور القرار.

المجلس الكوردي مطلع وغير معترف

"المجلس الوطني الكوردي مطلع على بنود القرار"، على ما يصرح عضو الأمانة العامة للمجلس ولات عوجي، ولكنه يتابع مردفا: "يرى المجلس أن الادارة المعلنة من قبل مجلس شعب غربي كوردستان غير شرعية، وإن أي فرمانات تصدرها ليست لها أي شرعية".

من جهته، السيد مصطفى مشايخ، نائب سكرتير حزب الوحدة الديمقراطي أكد على ما اتجه إليه عوجي مضيفا أن "هذه الإدارة قد تشكلت من طرف واحد، ولسنا معنيين بها، وبالتالي لا تخصنا القرارات التي تصدرها".

كما بيّن عبد الحميد بافي شيار عضو حزب الـ "يكيتي" أن هذا القرار وغيره من القرارات الصادرة عن الإدارة الذاتية "ما هي إلا قرارات النظام السوري، والذاتية عليها التنفيذ"، حسب تعبيره.

مكتب أي حزب سيغلق أولا؟

انتهت المدة المحددة للترخيص، ولم تقم الإدارة الذاتية باتخاذ الاجراءات التي كانت مقرَّرة من قبلها، الأمر الذي يعالجه عوجي في ضوء اعتبار "قرار تنفيذ فرمانات الإدارة بهذا الخصوص، مسألة ذات مدلول سياسي بحت، وتنفيذها ينتظر الوقت المناسب. إنهم يعولون على الخلافات بين أحزاب المجلس الوطني الكوردي علها تطفو على السطح".

وفي السياق ذاته أوضح مشايخ أنه "كان هناك الكثير من اللقاءات الثنائية بين المجلس الوطني الكوردي ومجلس الشعب لغربي كردستان لتكوين رؤية مشتركة بينهما، وأيضا الرسائل الكتابية بخصوص هكذا قرارات، والتي لم تخدم وحدة الصف الكوردي. نحن بحاجة إلى رص صفوفنا لصد التحديات والهجمات التي يتعرض لها شعبنا. نحن ككورد مستهدفون ونُعتقل ونُقتَل على الهوية، وهذه الخلافات لا تزيدنا إلا خسارة".

وقد أرجع عبد الحميد سبب عدم اتخاذ الإجراءات المقررة ضد الأحزاب إلى الخلافات الموجودة داخل مجلس شعب غربي كردستان، والذي يعود إليه أصلا إعلان هذه الإدارة. أيضا ردود أفعال الأحزاب وتهديدها بالخروج إلى التظاهر والاعتصامات إذا حصل ونفذوا اعتقالات.

المجلس الوطني الكوردي لن يرخص أحزابه

وفيما يتعلق بموقف المجلس الوطني الكوردي من ترخيص الأحزاب المنضوية تحته أوضح ولات عوجي أن المجلس "أجمع في اجتماعه الأخير على عدم ترخيص الأحزاب أياً كان توجهها في المجلس".

وتم إنذار بعض أحزاب المجلس الوطني من قبل الإدارة الذاتية، بإغلاق مكاتبها، ما يبين أن هناك نيّة لتنفيذ القرار. وبهذا الشأن أكد القيادي مصطفى مشايخ أنه وأعضاءً في أحزاب المجلس "سمعنا ببعض التهديدات للأحزاب لإغلاق مكاتبها. لذا نتمنى من الأخوة في مجلس الشعب لغربي كردستان التراجع عن هذه القرارات، فهي لا تخدم القضية الكوردية ويجب التريث وإعادة النظر فيما جرى كي تتم إدارة الموقف بالشراكة. كان هناك اتفاق موقع بين المجلسين لدراسة هذا المشروع، ومن الضروري التعاون بين كافة الأطراف الكوردية لملء الفراغ الامني والإداري الحاصل". وفي ذات السياق بيّن عبد الحميد أنه "إذا أعطى النظام الضوء الاخضر للإدارة الذاتية فإنها ستقوم بتنفيذ الإجراءات التي اتخذت بها قرارا".

حلول بالسبل "السلمية" و"الديمقراطية"

أما بالنسبة للخطوات التي سيتخذها المجلس الوطني الكوردي إن تم تنفيذ هذا القرار في الوقت الراهن، قال عوجي: "لا أعتقد أن من مصلحة الكورد في هذه الظروف تطبيق هكذا قرارات هادفة للقضاء على الحياة السياسية. كمجلس وطني كوردي نحن سندعو لخطوات تصعيدية في أوانها، وبكافة الطرق السلمية المدنية. نحن دعاة العمل المشترك والوقوف في خندق واحد ضد الهجمة البربرية التي يتعرض لها الشعب الكوردي في غربي كوردستان من داعش وأخواتها، والتوجهات العامة للإدارة الذاتية لا تخدم قضية الشعب الكوردي في هذا المضمار".

كما أشار مشايخ إلى أن "المجلس الوطني الكوردي هو كتلة سياسية بالدرجة الأولى، وسنحاول إيجاد الحلول بالسبل السلمية والديمقراطية وبالوسائل المتاحة كإيصال هذه الخلافات إلى الجهات كافة في كردستان".

وكان لبافي شيار الرأي ذاته، حيث اعتبر ممثلا حزبه "يكيتي" أن "موقفنا كحزب مطابق لموقف المجلس الوطني. والتظاهرات والاعتصامات ستكون من سبل الحل لدينا".

وفيما يتعلق بالمادة الرابعة /البند 4/ الذي ينص على أنه يشترط عدم وجود جناح عسكري للأحزاب السياسية قال مشايخ: "من إحدى بنود اتفاقية هولير تشكيل لجنة تخصصية تفتح الباب أمام الشباب للتطوع، لكن لم تُنفذ هذه الاتفاقية بكامل بنودها ونحن كمجلس وطني كوردي ليست لدينا أية أجنحة عسكرية بالأساس".

وعن رأيه بمسألة ترخيص حزب الاتحاد الديمقراطي، قال: "الإدارة الذاتية هي نفسها حزب الاتحاد الديمقراطي لذا من البديهي أن يتم ترخيصه من قِبلهم".

ودعا ولات عوجي مجلس الشعب لغربي كوردستان وحزب الاتحاد الديمقراطي، إلى "العودة إلى تفاهمات هولير برعاية مسعود البرزاني وليلى زانا وبايدمر".

وقد أشارت فاطمة الصالح المواطنة من مدينة عامودا إلى رفضها هي أيضا لكافة بنود القرار، مشددة على أن "من المعيب أن يصدر الكورد هكذا قرارات بحق أخوتهم وأبناء قوميتهم. حزب البعث لم يكن يهدد ويتوعد الأحزاب الكوردية بهذه الطريقة"، وتضيف مبينة حول ما إذا كانت أحزاب المجلس الوطني الكوردي ستطلب الترخيص: "لا أعتقد بأن أحزاب المجلس الوطني ستطلب الترخيص وستزاول نضالها السياسي (سراً أو علانية) لو نُفِّذَ بحقها أيّة من الإجراءات التي حددتها الإدارة الذاتية".

إحدى مظاهرات الشباب الكرد في القامشلي | 2012

صراع من أجل البقاء حكايات سورية

■ تركيا - مها الخضور

مخيم الزعتري بالأردن | Retouchoptical

بتاريخ 2014/7/8 صدر تقرير الأمم المتحدة بخصوص النساء السوريات اللواتي فقدن أزواجهن أو إخوتهن في الحرب ووجدن أنفسهن فجأة في مواجهة قسوة عالم لا يرحم. وفي التقرير أن "أكثر من 145000 عائلة سورية لاجئة أصبحت تعيلها امرأة في كل من مصر والعراق ولبنان وتركيا والأردن أي بمعدل خمس عائلات اللاجئين السوريين"

يحتم الوضع الجديد الذي فرضته ظروف الحرب على تلك النسوة تحديات لا قبل لهن بها من تأمين أجار المسكن إلى تأمين الطعام وكسوة الصغار والاعتناء بكبار السن وغيره وكل ذلك في ظل غياب أي فرصة عمل تؤمن لهم العيش الكريم وفي ظل غياب أي شكل من أشكال الدعم لهن سواء على الصعيد المحلي في المجتمعات التي لجأوا إليها او على الصعيد الدولي إلا فيما ندر. في كثير من الأحيان تجد المرأة اللاجئة نفسها عرضة لتحرش أرباب العمل أو أصحاب البيوت واستغلالهم مقابل تأمين لقمة تسكت بها أفواه صغارها. وفي تقرير الأمم المتحدة ان المفوضية العامة للاجئين أجرت العديد من المقابلات مع أعداد كبيرة من تلك الشريحة من النساء خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام 2014 وأكدت كل واحدة منهن تقريبا أنها فقدت زوجها أو المعيل الأساسي للأسرة خلال سنوات الحرب التي أزهقت أرواح الكثير الكثير من الرجال إما قتلاً أو أنهم اعتقلوا أو اختطفوا او فقدوا دون أدنى معلومات عنهم. فكانت النتيجة مآس جديدة يعيشها من تبقى من أسر هؤلاء الضحايا بفقدانهم لمن يعيلهم أو يحميهم وهكذا اضطرت زوجاتهم لمواجهة صعوبات لربما توازي أو تفوق حزنها على فقدان الزوج أو الأخ أو الأب.

ما الذي يمكن أن يحدث حين يجد المرء نفسه وبدون أية مقدمات في مثل ظروف أولئك النساء؟ وكيف تستطيع امرأة لا حول لها ولا قوة الصمود في وجه ظروف قاسية وهي تعاني الوحدة والعزلة والخوف؟ وهل تتمكن تلك النسوة من تلبية احتياجات من تبقى من الأسرة فعلا أم أن الجميع يعانون العوز والخوف ولكن بدرجات. مشكلة غالبية النساء موضوع نقاشنا هي افتقارهن للموارد، ففي حين اضطرت الغالبية لبيع أي شيء تملكه حتى خواتم الزواج لم يتبقى لهن بعد ذلك أية ممتلكات. وفي التقرير أن خمس هؤلاء النساء تقريبا استطعن الحصول على فرصة عمل وإن كانت تلك الفرص لا تلبي احتياجات الأسر المنكوبة إلا بالحدود الدنيا وفي نفس الوقت فهي تعرض النساء للتحرش والعنف الكلامي والجسدي أحيانا مقابل استمرارهن في العمل. كما أن خمسا آخر من النساء تتلقين دعما من أحد أقاربهم فتبقى النسبة الأكبر منهن بلا أية مساعدات ترجى. مما يدفع بالبعض إلى الجمعيات الخيرية أو المساجد في دول الجوار لاستجداء الطعام والملبس وأحيانا ربما بعض النقود. قد لا يستطيع عقل الإنسان أن يتصور أن هناك إنسان آخر يعاقب وتمتهن كرامته ويعرى ويجوع لأنه فقد أحباءه لكن طعم الحقيقة مرّ دائما، ففي حرب أبطالها رجال من كل بقاع الأرض وضحاياها هم فقراء السوريين ونسائهم نجد العالم مهتم بأخبار ساحات القتال أو توثيق أعداد الضحايا ويعتبر من تبقى في عداد الأحياء من الناجين متجاهلا أن البعض منهم يحلم بموت رحيم يخلصه من كابوس يعيشه كل لحظة بسبب مرارة ظروف العيش.

سميرة 24 عام أم لثلاثة أطفال تعيش معهم في مدينة عنتاب التركية، بعد مقتل زوجها هربت برفقة بعض الجيران من إحدى قرى إدلب إلى تركيا. ولم يتسنى لأحد أفراد عائلتها المقربين مرافقتها. لم تستطع تأمين عمل حتى هذه اللحظة وهي تعيش حالة من القلق الذي قد يودي بها إلى الجنون تجاه مستقبل أطفالها وتأمين احتياجاتهم الأساسية وعندما تسألها عن أحوالها تكرر كلامها وكأنها تردد شعارا: "أنا كل ما تبقى لأطفالي، ماذا سيحدث لهم إذا حصل لي مكروه؟؟؟" تعيش هذه المرأة في بيت آيل للسقوط في حي هوشجور ويقدم لها بعض المحسنين طعاما يبقيها وأطفالها على حافة الحياة وبعد لأي وجهد استطاعت تأمين عمل في تجهيز قطع لمشغل خياطة في المنزل بأجرة أقل بكثير من زهيدة فهي تتقاضى خمس ليرات تركية مقابل كل 100 قطعة.

أما نظمية فهي حكاية أخرى، فقد عاشت حياتها في مدينة الباب كأي امرأة سورية لم تكمل تعليمها لتتزوج في سن مبكرة مثلها مثل الكثيرات من بنات جيلها، لكن ظروفها فيما بعد الثورة لم تشبه ظروف الكثيرات... ويكفي القول إن هذه المرأة تحولت ببساطة إلى مومس تبيع الهوى في بناء يعج بفقراء السوريين في مدينة كيليس... حيث يأتي الرجال الأتراك بهدف المتعة الرخيصة الثمن فلا يواجهون صعوبة في التعرف على ضحاياهن.

ولحكاية أم محمود وجع آخر، فهي سيدة أربعينية، من مدينة حمص تقيم في غازي عنتاب أيضا وهي معلمة تتقاضى خمس مئة ليرة تركية أجرة شهر كامل في المدرسة التي تعمل فيها. فالقائمون على المدرسة يقولون إن الدعم الذي تتلقاه مدارس السوريين في تركيا لا يتعدى هذا القدر من الأجور. تتكون أسرة أم محمود أربعة أشخاص هي وزوجها المصاب بقذيفة تسببت ببتر ساقه اليسرى من الفخذ ومعهما طفليهما. تحاول أم محمود تعويض ما ينقصهم من المصروف ببيع الخبز السوري وبعض البضائع المهربة من سوريا كالشاي والقهوة والصابون. لكن محاولاتها الكثيرة والراتب الذي تتقاضاه من عملها لم تستطع مجتمعة أن تكفيها عوز الحاجة إلى كرتونة مساعدات تقدمها إحدى الجمعيات الخيرية التركية فتسارع للوقوف في الصف بانتظار الكرتونة.

تعمل العديد من المنظمات الدولية والمحلية على تغطية الاحتياجات الأساسية كالمأوى والغذاء والرعاية الصحية لأسر اللاجئين ولكن أكبر تلك المنظمات كالمفوضية السامية لشؤون اللاجئين وغيرها تشكو من قلة التمويل ومن تهرب الكثير من الحكومات من مسؤولياتها. فهل تكفي تلك الجهود الخجولة لإنقاذ اللاجئات السوريات بشكل فعلي. وهل تستطيع المنظمات الإنسانية السورية العمل على تقديم التدريب اللازم لتزويد أولئك النسوة بمهارات الحياة العملية في مجتمعاتهم الجديدة بدلا من تبديد الجهد والمال على ندوات لمناقشة مسألة المساواة بين الجنسين مثلا.

58 مليون يدفعها النظام لبناء سور يخفي جرائمه في السكن الجامعي في حلب

■ حلب - عثمان إدلبي

وجدت الأفرع الأمنية في حلب نفسها في مأزق كبير بعد أن فتحت أبواب المدينة الجامعية لنازحين من أحياء مختلفة في حلب ظناً منها أنها قد وضعتهم تحت كنفها بعد أن نظمت الرجال في صفوف كتائب البعث والدفاع الوطني التابعة لها، ولكن من الواضح لكل الحلبيين أن هؤلاء الشبيحة حولوا السكن الجامعي إلى وكر يباع فيه السلاح وتباع فيه المخدرات والحبوب وفيه بيوت للدعارة وتقام فيه يوميا سهرات السكر، كما إن السكن الجامعي أصبح أشبه بدولة مستقلة تحكمها الشبيحة مستغلين السلطة التي أعطتهم إياها الدولة إلى أن استعصى على الدولة أن تضبطهم.

تكتل الشبيحة في السكن الجامعي

قامت إدارة السكن الجامعي بإخراج الكثير من سكان المدينة الجامعية من غرفهم ولم يبق فيها سوى الشبيحة والمتطوعين في جيش النظام، فالسلاح ينتشر بشكل كبير فلا تخلو غرفة من رشاش أو مسدس، يقول مصطفى وهو أحد النازحين في المدينة الجامعية «لدي أخ عسكري ويخدم في فرع الأمن العسكري وقال لي بأنه يأتي لضباط الأفرع تقارير يومية من مخبرين لهم داخل السكن الجامعي تخبرهم أن بعض الشبيحة المقيمين في السكن يبيعون الذخائر التي يأخذونها من النظام ويهربون أسلحة غير نظامية لداخل المدينة، وان تجارة المخدرات انتشر بشكل كبير داخل السكن»، هذه التقارير باتت تقلق ضباط الأمن في حلب فهم أصبحوا متخوفين من التكتل الكبير للشبيحة ضمن مكان واحد، فكانت هناك عدة محاولات لإخلاء المدينة من النازحين ولكن هذه المحاولات ووجهت باستعصاء شرس من قبل النازحين الذي رفضوا الخروج من السكن، وكان فرع المخابرات الجوية هو الذي كلف بمهمة إخلاء السكن الجامعي من النازحين، هذا الفرع الذي إستخدم القوة العسكرية في إحدى المرات التي أراد بها إخلاء الوحدة الحادية عشرة من النازحين الذين غالبيتهم من الفلسطينيين النازحين من المخيمات والذين واجهوا عناصر الأمن الجوي بالسلاح أيضا ففضل ضباط الأمن أن يغلقوا ملف النازحين لكي يتجنبوا الصراع معهم.

بعد أن فشل ضباط الأمن في إخلاء السكن الجامعي لجؤوا لإجراءات لعلها تضبط الوضع في السكن وتبقيه تحت سيطرتها خوفا من تمرد النازحين الذين باتوا يملكون السلاح وأعدادهم تتزايد كل يوم، ومن آخر الإجراءات التي قام بها النظام لضبط الوضع في السكن الجامعي إنشاء سور بيتوني عالي يحيط بكامل المدينة الجامعية، هذا الإجراء لاقى استياء كبيرا من قبل سكان المدينة الجامعية ومن الكثير من الحلبيين كونه قد شوه المنظر العام للمدينة، وتقول أم عبد القادر وهي نازحة في السكن الجامعي»إن هذا السور جعل المدينة الجامعية مثل السجن المركزي فهذا السور لن يضبط التسيب في المدينة بل أصبح يخفي الأشياء التي تحدث في حدائق المدينة عن أعين الناس ولن يؤثر بشيء على الشبيحة الذي يهربون ما يريدونه أمام أعين عناصر الأمن لأن عناصر الأمن الموجودين في السكن يمارسون سلطتهم علينا ولا يتجرءون على الاقتراب من الشبيحة فعندما ادخل المدينة يفتشون جميع الأغراض التي أحملها وحتى حقيبتي الشخصية وأتعرض للكثير من الأسئلة أما العسكريون يدخلون السكن دون أن يفتشوا أو يتعرضوا لأي سؤال مع إن النظام يدرك أن العسكريين هم المسئولون عن الفوضى التي تحدث في المدينة»، لقي إنشاء السور الذي يحيط بالسكن الجامعي ضجة في الشارع الحلبي وكثرت الأقاويل عن الأسباب التي دفعت لإدارة الجامعة لإنشائه والذي قدرة كلفته من قبل المكتب الهندسي في رئاسة الجامعية بـ58 مليون ليرة سورية مع إن جامعة حلب تشتكي مع عجز مادي كبير، يقول سامر وهو موظف في رئاسة الجامعة «إن غاية النظام من أنشاء هذا السور هو إيقاف عمليات تهريب السلاح والمخدرات التي كان تتم من فوق أسوار السكن الجامعي، كما أن أدارة المدينة الجامعية سوف توزع بطاقات للنازحين لكي يصبح الدخول إلى السكن عبر هذه البطاقة وتمنع بقية الناس من الدخول، كما أن رئاسة الجامعة كان مصرة على إنشاء هذا السور لكي تغطي عجزها الذي نتج عن السرقات والاختلاسات من الإدارة السابقة للجامعة».

غرف لتجارة المخدرات وغيرها للدعارة

غرف الدعارة والغرف التي تتاجر بالمخدرات والحبوب الممنوعة باتت تنتشر بشكل كبير في السكن الجامعي كما إن هاتين الظاهرتين لم تكونا ضمن اهتمامات النظام في حملته التي يشنها لضبط الوضع في المدينة الجامعية، أكثر من 250 ألف شخص يسكنون في 15 بناء معظمهم يعانون من أوضاع معيشية صعبة والكثير منهم فقد المعيل فظروف كثيرة دفعت البعض للبحث عن طرق غير شرعية لسد احتياجاته وكسب المال كما إن التسيب واكتظاظ السكان وعدم وجود المراقبة سهل على البعض فتح بيوت الدعارة التي أضحت ظاهرة علنية فهناك غرف معروفة من قبل سكان الوحدة السكنية الموجودة بها بأنها غرف للدعارة، ويقول محمد وهو عامل في منظمة الهلال الأحمر في المدينة الجامعية «نواجه الكثير من حالات تعاطي المخدرات المفرط في السكن الجامعي، وأثناء الفترة التي قضيتها في السكن الجامعي رأيت عدة حالات دعارة ضبطت من قبل عناصر الانضباط في السكن ناهيك عن المظاهر المخلة للآداب التي نراها بشكل دائم في حدائق السكن وخلف الوحدات السكنية، فأصبحت بعض غرف السكن مكاناً لقضاء الملذات الشخصية للشبيحة وعناصر الأمن فلذلك لم نر حتى الآن أي خطوة جدية من قبل الشرطة أو الأمن لضبط حالة التسيب التي تعم في السكن الجامعي».

المدينة الجامعية في حلب | عدسة سوريتنا 2014

شباب الساحل السوري بين القاتل والمقتول

■ اللاذقية – سماح حيدر

لا يخفى على من يزور قرى الساحل السوري، البيئة الريفية البسيطة الودودة، في ظل وضع اقتصادي سيء وفقر مدقع، فالطبيعة الجغرافية الجبلية، تجعل المردود الاقتصادي لها ضعيفا، في حين يقتصر النشاط الاقتصادي على بعض التجارة والنقل والمنشآت السياحية القليلة، في وقت تغيب عنها المشاريع التنموية الإنتاجية.

«سوريتنا» لحظت، خلال زيارة للساحل السوري، عددا مرتفعا من قبور شباب -« مشاهد شهداء»- قضوا في الأحداث التي تشهدها سوريا منذ أكثر من ثلاث سنوات، ورغم عدم توفر إحصائيات دقيقة لعدد قتلى تلك المناطق، لكن في كل قرية يذكر على مسامعك أسماء عشرات القتلى معظمهم كان يحمل السلاح ويقاتل إلى جانب النظام، ومنهم من قضى بتفجير هنا أو هناك أو خطف وقتل، في حين مازالت هناك عائلات تنتظر أبنائها المفقودين أو المخطوفين.

قال أبو علي، في الستين من عمره من ريف مدينة جبلة الساحلية، لـ«سوريتنا»، «فيما ندر تجد شابا بين 18 و50 من عمره، فالأغلبية الساحقة غير الموظفة أو ممن ليس لديهم مشاريعهم وميسوري الحال، حملوا السلاح إما داخل الجيش أو ضمن قوات الدفاع الوطني».

وأضاف «قلما يمر يوم لا نشيع فيه شهيدا على الأقل، منهم لم يؤت بجثامينهم ومنهم من لا نستطيع أن نراه لأنه عبارة عن أشلاء»، معتبرا أن «قدر الشباب في هذا الزمان القتال لأن الطرف الأخر يكفرهم ويتوعدهم بالقتل وسلب رزقهم والاعتداء على عرضهم، فلم يعد أمامهم سوى خيار قاتل أو مقتول».

من جانبها، قالت أمل، فتاة من إحدى قرى الساحل السوري، لـ«سوريتنا»: «سقا الله أيام زمان، كنا نمر في ساحة الضيعة لنجد الشباب متجمعين وهناك حياة مستمرة، اليوم نجول الضيعة شارعا شارعا لا نصادف فيها إلا فتى أو رجلا كبيرا»، مضيفة «في الماضي كان باص القرية يضج بالشباب عندما نتوجه إلى المدينة أما اليوم فقد أصبح ذلك من المصادفة الغريبة».

وذكرت أن «معظم الشباب يحملون السلاح على جبهات القتال على طول البلاد وعرضها»، مضيفة «أصبحنا نشتهي الفرح، يوميا يأتينا شهيد أو خبر عن مصاب في مشفى أو مفقود، لقد دخل الحزن كل منزل من منازل الضيعة، وأصبح لون ثيابنا الأسود (لباس الحداد على الموتى) قاعدة، في حين من المستغرب أن ترى إحدى النسوة قد ارتدت لونا أخر».

من جانبها، قالت سلمى، لـ«سوريتنا»، «خيرة الشباب تموت يوميا، خطيبي تطوع في الجيش قبل نحو أربع سنوات، لأنه لم يكن أمامه سوى الجيش ليؤمن مستقبله، إن بقي مستقبل في هذا البلد، فلا يوجد وظائف، والعمل في الأرض لم يعد يطعم أحدا».

وأضافت «في ضيعنا يكبر الشاب والتطوع في الجيش خيار الأهل الأول له، ومن كان قد تعلم فحلمه وظيفة في الدولة، لأن هذا يعطيه استقرار اجتماعي ويصبح مؤهلا ليكون أسرة»، متابعة «كما أن الخيار الاجتماعي الأفضل للفتاة هو التدريس، حتى أن المجتمع يعتقد أن الزواج الناجح هو بين متطوع في الجيش ومدّرسة، وهذه هي المعايير الأقوى للزواج».

بدوره قال حسن، ناشط من الساحل، لـ«سوريتنا»، «المجتمع في الساحل عبارة عن بيئة ريفية بسيطة غير متشددة فقيرة اقتصاديا إلى درجة كبيرة، أراضيهم جبلية مردودها الاقتصادي متدني إلى درجة في الأغلب لم تعد تكفي أصحابهم حاجاتهم الأساسية، ما دفع أعدادا كبيرة منهم للانتقال إلى المدن، شأنهم شأن أهالي الريف السوري».

وتابع «وكأي بيئة زراعية فقيرة أبنائها لا يمتلكون صنعة، معظمهم يتوجهون إلى البحث عن العمل في محاولة لتحسين وضعهم المادي، ومع وجود عقبة الخدمة العسكرية الإلزامية أمام الشاب السوري، والتي كانت مدتها قبل أن تخفض إلى عام ونصف عامين ونصف وفي أغلب الأحيان تمتد أكثر، يجد الشاب التطوع في الجيش والقوى الأمنية حل لاختصار الزمن ففي سوريا لا مستقبل معروف أمام الشباب».

ولفت إلى أن «النظام طوال عقود ماضية كان يدفع بالشباب إلى خيار التطوع في الجيش والمؤسسة الأمنية أولا ومن ثم التوظيف، لكنه حافظ على فقرهم وعوزهم الدائم، في وقت كان يؤمن لهم بيئة فأسدة ويفسدهم حتى تتكدس ملفاتهم من أكبر شخصية إلى أصغر مجند، وبالطبع ملفات الفساد تشمل كل سوري وإن اختلفت المستويات، ففي سوريا هناك قانون، كما يقول المفكر السوري الدكتور الطيب التيزيني، طبقه النظام منذ أكثر من 50 سنة هو أفسد من لم يفسد وبالتالي يكون التخلص من أي شخص يتمرد على النظام الحاكم سهل جدا».

وأضاف «ومع بداية الحراك الشعبي في عام 2011، ولمشكلة اختلاف البيئة وأسر معظم أبناء الساحل في المؤسسة العسكرية، وللدعاية الطائفية التي مارسها لعقود وغيرها من التفاصيل حالت دون انخراط أبناء الساحل في الحراك المناوئ للنظام».

وقال إن «تدهور الوضع الاقتصادي والخوف من الأخر ساهم، في زيادة أعداد الشباب الملتحقين بالقوات النظامية، حيث عمل النظام على إغرائهم ماديا عبر دفع رواتب مرتفعة وإطلاق يدهم للنهب والسرقة، فبعد أن كانوا عبارة عن شباب مسحوقين اقتصاديا وماديا أصبح لهم سطوة وسلطة، إضافة إلى إشباعهم بأنهم إن لم يدافعوا عن أنفسهم وعرضهم فسيقتلون وتنتهك أعراضهم، حتى يعتبرون أنفسهم اليوم سائرون في طريق لا رجعة منه، ويتعاطون مع الوضع أنه مسألة وجود، بوجود بشار الأسد أو عدمه، حيث يشكل الأخير مسمار الأمان لهم».

يشار إلى أنه رغم التوجه العام في الساحل نحو محاباة النظام، فقد ظهر العديد من المعارضين للنظام طوال العقود الماضية، إضافة إلى الأحداث الحالية عسكريين كانوا أم سياسيين.

ملصق على أحد جدران اللاذقية

خان الشيح - ريف دمشق | SMART

مخيم خان الشيح: معاناة حصار وتهجير

■ مهند النادر

يبعد مخيم خان الشيح حوالي 25 كم عن العاصمة السورية دمشق ويقع على الطريق الواصل بينها وبين مدينة القنيطرة في الجولان السوري، تأسس مخيم خان الشيح عام 1950 ويسكنه اللاجئون الفلسطينيون الذي ينحدر معظمهم من مناطق الجليل الأعلى في فلسطين وغالبيتهم من مدن وقرى طبريا والناصرة، ويبلغ عددهم حوالي 16000 لاجئ وتقدم وكالة الأونروا بعض الخدمات لسكانه. وبسبب أزمة السكن في العاصمة دمشق انتقل إلى جوار مخيم خان الشيح الكثير من سكان المناطق المختلفة وأقاموا تجمعاً كبيراً يوازي حجم المخيم "شمال الطريق" (كما تسمى المنطقة التي سكنها الوافدون الجدد).

موقعه الهام على الطريق الممتد من دمشق إلى القنيطرة جعله صلة الوصل بين مناطق المدنيتين وممراً للمنتجات والبضائع المختلفة المتبادلة بينهما، وشكل محيطه الزراعي والمزارع المنتشرة حوله منطقة اصطياف لأبناء دمشق. وتتسم العلاقات الاجتماعية بين سكانه من اللاجئين الفلسطينيين والقرى المجاورة له بالمحبة والاحترام والمشاركة في كل المناسبات وعلاقات المصاهرة والنسب.

مع قيام الثورة السورية في آذار 2011 امتدت أحداثها إلى المناطق المجاورة للمخيم مثل (كناكر – خان أرنبة) من قرى مدينة القنيطرة، وقرى غوطة دمشق الغربية مثل (عرطوز – قطنا – داريا – زاكية وغيرها)، مما جعل مخيم خان الشيح كونه ممراً بين هذه المناطق أن يتأثر بالأحداث كباقي المناطق مع التزامه الحياد من الحدث السوري، إلا أنه في الجانب الإنساني قام بالدور الذي يليق به من عمليات الإمداد بالمواد التموينية للمناطق التي يمنع عنها النظام التموين، كما قدم العديد من الخدمات الصحية والإسعافات الضرورية للجرحى الذين سقطوا برصاص النظام. معتصم ممرض من سكان المخيم يقول: "لم يكن أمانا إلا أن نقوم بإسعاف الجرحى الذين لجأوا إلى المخيم هرباً من القتل أو الاعتقال.. إنهم جيراننا وأصدقاؤنا لا نستطيع أن نراهم هكذا ونقف نتفرج عليهم..".

مع تطور الأحداث في المناطق الثائرة وعمليات النزوح التي أجبر عليها سكانها بسبب بطش النظام واستخدامه لكافة أنواع الأسلحة في القتل والتدمير على مناطق داريا وعرطوز ومخيم اليرموك ومناطق مختلفة من دمشق وريفها، أصبح المخيم ملجأ لأهالي هذه المناطق فسكنوا في بيوته وتقاسموا مع أبنائه ما توفر من مستلزمات الحياة. وأصبح مشهد أبناء المخيم الذين يتناوبون على انتظار السيارات التي تقل النازحين من المناطق المختلفة وتقديم المساعدة الفورية لهم من مياه للشرب وبعض السندويش والمأكولات السريعة، وتسمع عبارات الترحيب والمؤازرة من الجميع. أبو محمد لاجئ فلسطيني من قضاء طبريا يسكن مخيم خان الشيح يروي ما شاهده بعد مجزرة جديدة عرطوز البلد: "حالة الناس مرعبة ويرثى لها، تذكرت نفسي عندما كنت طفلاً حين طردنا من قريتنا في فلسطين، ما يحدث اليوم أقسى وأصعب، فتحنا بيوتنا لأخوتنا وساعدناهم بما نستطيع، فنحن أهل وجيران والمصاب واحد".

رغم التزام المخيم بشكل عام حالة من الحياد في الأحداث ولم يشارك بأي فعل مؤيد أو معارض للنظام بشكل مباشر، سوى القيام بدوره الإنساني الذي تفرضه القيم الإنسانية، جعل المخيم عرضة لحالة من الانتقام من قبل قوات النظام وأجهزة الأمن المختلفة التي بدأت تقوم بعمليات الاعتقال للناشطين في المجال الإنساني وللعديد من الأطباء الذين قدموا العلاج للجرحى والمصابين من المناطق الثائرة، كما حدث مع الدكتور راضي شاكوش والدكتور حسين الصيد اللذين تم اعتقالهما في شهر آب 2012.

وتعرض العديد من أبناء المخيم للاعتقال من خلال المداهمات التي تقوم بها أجهزة الأمن، أو على الطرقات عند تنقلهم من المخيم إلى دمشق للعمل أو الدراسة، وتم اعتقال العشرات منهم لدي أجهزة الأمن المختلفة وتعرضوا للتعذيب الشديد مما أدى إلى استشهاد العديد منهم ونذكر الأخوة الستة من عائلة الظاهر التي قضت في سجون النظام في شهر آذار 2013.

مع تقدم ساحات المعارك بين الجيش الحر والنظام من المناطق المحيطة بالمخيم تعرض المخيم وبعض أطرافه للقصف خاصة في شهر نيسان 2013، ومع وصول مقاتلي الجيش الحر لجوار المخيم بدأت براميل الموت بالتساقط من طائرات النظام على بيوت المخيم حاصدة أرواح سكانه ومخلفة الدمار الواسع، مما أدى إلى شل حركة سكان المخيم وتعطل كافة أشكال الحياة داخله وبدأ الحصار والتضييق على الدخول والخروج من المخيم عبر حاجز بلدة دروشا التي تسيطر عليه قوات النظام، وأصبح عبور الحاجز والخروج منه كالمولود من جديد لقساوة المعاملة والإهانات التي تُكال للعابرين، محمد رجل قارب الستين من العمر صاحب محل بقالة في مخيم خان الشيح يعبر بمرارة عما حدث معه في إحدى مرات عبوره لهذا الحاجز: "أنا رجل كبير ومريض سكري، أنزلوني من السرفيس بسبب كنيتي، ولم يراعوا عمري ومرضي، أوقفوني في الشمس الحارقة أكثر من أربع ساعات حتى انهارت قواي من التعب والمرض، وتحققوا من اسمي وعمري وأطلقوا سراحي لكنهم منعوني من الدخول وعدت إلى مدينة دمشق بعد كل ذلك".

عمل النظام على التضييق على المخيم وزيادة معاناة سكانه من خلال إغلاق الطريق الرئيسي الذي يربط دمشق بالقنيطرة مروراً بمخيم خان الشيح، ما أدى إلى منع وصول المواد التموينية ووسائل التدفئة وباقي مستلزمات الحياة إلى المخيم، وعاش المخيم في ظلام دامس لفترات مديدة بسبب قطع التيار الكهربائي عنه كما قطعت وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية والأنترنيت لفترات مختلفة فأصبح من بقي في المخيم معزولاً عن العالم الخارجي. وأصبح الطريق الوحيد الذي يصل المخيم بالمحيط هو الطريق الممتد من المخيم عبر المزارع إلى بلدة زاكية المجاورة لبلدة الكسوة ومنها إلى دمشق، وهذا الطريق الذي يتعرض للقنص واطلاق القذائف على السيارات العابرة من قبل قوات النظام مما أدى إلى سقوط العديد من الشهداء والجرحى في مرات عديدة.

لقد تجاوز عدد شهداء المخيم (61 شهيداً) الذين سقطوا جراء الصراع في سوريا نتيجة القصف والقنص والقتل تحت التعذيب في أقبية النظام، وعدد المعتقلين بالعشرات، والأخطر من ذلك هو عدد المهجرين إلى خارج المخيم الذي تجاوز نصف عدد سكانه، فمنهم من نزح إلى مناطق مختلفة من دمشق، ومنهم من وصل إلى لبنان بحثاً عن مستقر بعيداً عن الموت، ومنهم المئات الذين ركبوا قوارب الموت هرباً من الموت على أمل الوصول إلى بر الأمان على شواطئ أوروبا فابتلع البحر العديد منهم ووصل البعض، ويبقى السؤال "برسم من هذا التهجير الجديد للاجئ الفلسطيني".

التيارات الصوفية ودورها في الربيع العربي

■ ياسر مرزوق

عن الصوفية والسياسة

يقول الدكتور عمار علي حسن في كتابه: "الصوفية والسياسة في مصر" الصفحة 30: يبدو للمتعجل أن السياسة والتصوف خصمان لا يتصالحان وخطان متنافران لا يلتقيان فالسياسة عملية اجتماعية حركية والتصوف تجربة ذاتية انكفائية تبتعد عن السياسة بقدر ابتعادها عن مشاغل الحياة وتكالب البشر عن الدنيا.

حين نأتي على ذكر الصوفية تتبادر للذهن حكم ابن عطاء الاسكندري، ومنظومات ابن عربي، وأسطورة الحلاج وأشواق ابن الفارض، ونظرة للحياة تقوم على الفكرة محملة بالمعاني الفلسفية، وأقوام لم تخطي خطوة إلا بوحيٍ من الفكرة الأخلاقية للتعبير عن أزمات النفس وخواطر القلوب، ونماذج سجلها التاريخ لرجال عدوا من أبناءها تحالفوا مع السلطة أو أذعنوا لها تماماً، وفي غمرة القراءة ننسى أن الصوفية كانوا من أقطاب الحرية الفكرية وحرية التعبير وكانوا ممن تصدو للحاكم المستبد قديماً وللمستعمر في العصر الحديث تشهد على ذلك زوايا الصوفية في المغرب العربي وليبيا والتي باتت معسكراتٍ تدريبية لمقارعة المستعمر الأوروبي، وتشهد على ذلك قصة الحلاج الذي تم إعدامه مصلوباً عام 309 هجرية والذي قصد عامداً أن يتحدى الخليفة العباسي في تلك الفترة حتى دفعه للحكم عليه بالصلب والإعدام، مشيراً إلى أن هذا يؤكد أن حركة التصوف لم تكن تقبل بأن تكون موالية للسلطة الحاكمة على حساب ما تعتقد أنها حقائق مقدسة تؤمن بها وتفنى فيها وتتفانى من أجلها وتتمادي في سبيل الدعوة إليها.

في ملفنا اليوم قراءة لواقع الصوفية ودورها في الربيع العربي والسوري خاصةً ففي حين شهد ربيع العرب صعوداً واضحاً للتيار السلفي بألوانه المختلفة الجهاديّة والتقليديّة والحركيّة، وارتبط هذا الحضور بضعف المجتمع المدني واستقالة معظم كوادره بعد عامين من اندلاع الثورة تقريباً، إضافةً إلى نمو الثورة في الأرياف والمدن الهامشية في حين بدا الموقف الصوفي مرتبكاً بين مؤيد تقليدي للنظام أو مؤيد للثورة في حين كان الصمت سمة التيار الأبرز بالعموم.

عن الصوفية

من الصعوبة بمكان تقديم تعريفٍ شامل أو محدد للصوفية، شأنها شأن التدين أو الدين بشكل عام، مما يحيلنا لما كتبه الأنثروبولوجي البريطاني المعروف "جيمس فريزر" في كتابه "الغصن الذهبي": إن صياغة تعريف واحد من شأنه إرضاء كل الآراء المتصارعة حول الدين، هو أمر غير ممكن التحقيق، من هنا فإن كل ما يستطيعه الباحث هو أن يحدد بدقة ما يعنيه بكلمة الدين، ثم يعمل على استخدام هذه الكلمة عبر مؤلفه بالمعنى الذي حدده لها منذ البداية، وعليه فإننا نفهم الدين على أنه عملية استرضاء وطلب عون من قوى أعلى من الانسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الانسانية، وهذه العملية تنطوي على عنصرين أحدهما عملي والآخر نظري،، فهناك أولاً الاعتقاد بقوى عليا، يتلوه محاولات لاسترضاء هذه القوى، ولا يصح الدين بغير توفر هذين العنصرين، ذلك أن الاعتقاد الذي لا تتلوه ممارسة هو مجرد لاهوت فكري، أما الممارسة المجردة عن أي اعتقاد فليست من الدين في شيء.

والتعريف الأقرب للصوفية كونها نزعة انسانية تؤمن بالباطن وبالحقيقة، ويمكن القول أنه ما من حضارة بشرية إلا وظهرت فيها النزعات الصوفية على نحو من الأنحاء، تعبيراً عن الزهد بالماديات والسعي نحو التطهر والفناء في الذات العلوية الخيرة، وقد عرف ابن عربي التصوف في كتابه "اصطلاح الصوفية": بأنه الوقوف مع الآداب الشريعة ظاهراً وباطناً وهي الخلق الإلهية وقد يقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سفسافها.

كما عرفه الإمام الجنيد بمايلي: التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة.

أما المعجم الوسيط فعرفه بوصفه: طريقة سلوكية قوامها التقشف والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح وأعلى مراتبه الفناء.

أما الجرجاني في كتابه "التعريفات" الصفحة 144 فيرى أن التصوف: "يعني الوقوف على الآداب الشرعية ظاهراً فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال" وأضاف: التصوف مذهب كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل وقيل تصفية القلب عن موافقه البرية ومفارقة الطبعية وإخماد وصفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازل الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله على الحقيقة واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في الشريعة.

أما عن نسبة الصوفية فقد كتب "مصطفى الزرقا" في مجلة المعرفة عدد حزيران عام 1931 عن اشتقاق كلمة التصوف: وهي تحتمل أربعة فروض الأول أن يكون الصوفي منسوباً إلى صوفة وهو رجل انفرد بخدمة الله تعالى عند بيته الحرام، واسمه الغوث بن مر، وقد انتسبت الصوفية إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله، والثاني أن يكون منسوباً للصوف، كون الصوف ولبسه في الجاهلية كان مظهر التخشن والتقشف، وقد وصف القدماء ابن الأدهم بأنه حمّل جلده على ضعفه خشونة الصوف، وأخذوا على المرائين أنهم يعذبون أنفسهم بلبس الصوف، والفرض الثالث نسبتها إلى الصفاء، أما الرابع فهو نسبتها إلى كلمة "صوفيا" اليونانية والتي تعني الفلسفة، وبه قال أبو ريحان البيروني، والمستشرق فون هامر لاحقاً.

الصوفية والغرب

يقول الدكتور عمار علي حسن في كتابه: "الصوفية والسياسة في مصر" الصفحة 10: لقد مثلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 صدمة كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية دفعتها إلى دراسة إمكانية تعميم الصوفية بحيث تصبح هي الشكل المستقبلي للإسلام أو على الأقل تقوي شوكتها على الساحة الإسلامية لتخصم من رصيد الجماعات والتنظيمات السياسية المتطرفة ذات الإسناد الإسلامي التي أنتجت تنظيم القاعدة وما على شاكلته.

يبدو أن دوائر صنع القرار الغربية وجدت في الطرق الصوفية أو أرادت أن تراها حليفاً مناسباً يدرأ عنها خطر التطرف يقول بوول وولفيتز "إن معركتنا هي معركة الأفكار ومعركة العقول ولكي ننتصر على الإرهاب لابد من الانتصار في ساحة الحرب على الأفكار"، وفي هذا الصدد يقول الباحث الدكتور عبد الوهاب المسيري "مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام يشجع الحركات الصوفية فمن أكثر الكتب انتشارا الآن في الغرب مؤلفات محي الدين بن عربي وأشعار جلال الدين الرومي وقد أوصت لجنة الكونجرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي".

وتماهياً مع الموقف الغربي كان سلوك الأنظمة العربية واضحاً في دعم الحركات الصوفية بوصفها تياراً طيعاً يعتمد المبدأ الصوفي القائل بأن "ممارسة السياسة تفسد الدين"، وقد عملت العديد من الأنظمة على توظيف الجماعات الصوفية لتثبيت دعائمها واستمرار تأييدها ومن ذلك مثلاً نظام مبارك في مصر الذي أنشأ المؤسسة الصوفية وساعدها على الاستمرار والنهوض حتى وصلت إلى شكلها الراهن وذلك من أجل تثبيت شرعيته السياسية متخذاً التدين الصوفي أداة في مواجهة التدين الحركي المعارض التقليدي للنظام.

يقول الباحث الفرنسي المسلم "إريك جيوفروي" المختص في الصوفية بجامعة لوكسمبورج بشمال فرنسا "إننا نجد أن الأنظمة العربية عملت على إدماج الصوفية في الحكم بهدف محاربة الظاهرة الإسلامية فوزير الأوقاف المغربي أحمد التوفيق صوفي كما أن الشيخ أحمد الطيب في مصر – وهو خلوتي – أصبح رئيس جامعة الأزهر بعد أن كان مفتياً للديار المصرية وفي الجزائر نجد أن بوتفليقة قريب جدا من الصوفية وهو ما برز في حملته الأخيرة".

ومع هذا الدعم الغربي والحكومي لم تقف الصوفية عند حدود شراذم الزهاد والمتنسكين بل امتثلت في طرق لها قاعدتها الجماهيرية وإدارتها المالية وقادتها البارزون، وأصبح لها شكل مؤسسي قائم بذاته وله علاقاته السياسية والاجتماعية المختلفة فتحويل العقيدة أو الروحانيات إلى منهج تطبيقي في الواقع يتطلب تواجد حركة أو ممارسة فاعلة وفعالة على المستوى الجماعي تفترض وجود مؤسسة تقوم على تربية الأفراد والدفاع عن مصالحهم وتجنيد لمزيد منهم لضمان البقاء

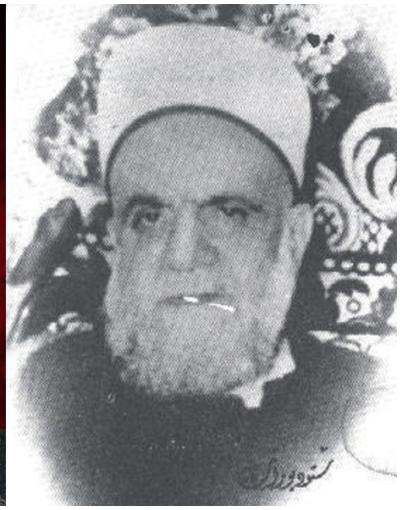
الشيخ عبد الكريم الرفاعي

الشيخ أحمد كفتارو

الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي

والاستمرار.

وقد أثر الدعم الغربي على مواقف الطرق الصوفية وتوحيدها بوصفها طرقاً عابرة للأقاليم فأكثر من سبعين في المائة من الطرق الصوفية المنتشرة في دول المنطقة تربطها أصول ومعتقدات ومشايخ واحدة، وأغلبها انتقل من حدود الدولة الواحدة إلى الإقليم، ثم عبرت حدود الإقليم إلى دول وقارات مختلفة في الظروف الاجتماعية والثقافية والدينية؛ لتتحول من مجرد تيارات إقليمية إلى حركات عابرة للحدود.

وترتب على هذا التشابه الكبير في شكل الحركات الصوفية في الدول العربية تقارب في مواقفها من الثورات سواء في مصر أو ليبيا أو اليمن أو تونس أو سوريا، فأغلبها التزم الصمت، ووقف بجانب الأنظمة الحاكمة خصوصاً في بداية انفجار الثورات، باستثناء القليل منها الذي اقتصر في تأييده للثورات العربية ببيانات فردية لا تعبر عن موقف طرقي واحد لصوفية الدول.

الصوفية في سوريا

أدرك حافظ الأسد الفرصة السياسية الموجودة في التدين، خصوصاً في إسلام صوفي معتدل يعطيه شرعية عدم محاربة الدين من خلال التقرب واستخدام المشايخ لتأييد حكمه، شأنه في ذلك شأن الدكتاتوريات في العالم العربي، فعبد الناصر مثلاً وفي أعقاب ثورة عام 1952 استخدم السلطة الصوفية لتثبيت شرعيته وتبرير سياساته، وقد بلغت العلاقة بين الصوفية وعبد الناصر إلى درجة أن يقول شعراوي جمعة وزير الداخلية في عهد عبد الناصر في مقال "شعراوي جمعة وشهادته للتاريخ": حينما مات عبد الناصر كان علينا وسط مشاهد الحزن ومشاعره الفياضة أن نعمل على وضع ترتيبات خاصة لحماية الجثمان بعد أن وصلتنا معلومات تفيد بأن الطرق الصوفية ستتكالب على النعش وتخطفه لتطوف به مساجد وأضرحة أولياء اللّه الصالحين في القاهرة.

وقد وجد الأسد في التيار الصوفي خزاناً بشرياً لملأ الفراغ الديني بعد أحداث الثمانينات وما تبعها من هجرة واعتقال العلماء والشيوخ المحسوبين على جماعة الإخوان المسلمين، وكان على رأسهم أحمد كفتارو المنتمي للطريقة النقشبندية مفتي الجمهوريّة السوريّة السابق الذي بدأت علاقته مع النظام مبكراً وحظي باهتمام وصلة خاصة مع الرئيس الراحل حافظ الأسد. وقد ساهم في بناء "مجمع أبو النور" في دمشق الذي استقبل آلاف التلاميذ في التعليم الأساسي والجامعي وعدد كبير من العلماء والدعاة والفقهاء.

مع اندلاع الثورة في سوريا أصبح بالإمكان تمييز التيارات الصوفية وموقفها من الحراك الجماهيري ففي حين التزمت المؤسسة الدينية الرسمية موقف النظام، حتى أن مفتي الجمهوريّة أحمد حسون أصدر فتوى رسميّة في شهر آذار عام 2012 تعلن وجوب الجهاد دفاعاً عن النظام السوري، واعتبر الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي الذي يرأس الطريقة الكلتاوية أن ما يجري في سوريا مؤامرة غربية، كما أيد النظام صراحةً بعض أبناء الطريقة النقشبندية في حلب خصوصًا أحفاد عبد القادر الجزائري، وكذلك أبناء الطريقة الشاذلية في حلب أيضاً، بينما وقفت بعض الطرق إلى جانب الثورة، يقول الباحث في الدراسات الإسلامية والفكر السياسي "عمران سميح نزال": ترجع بعض التحليلات السياسية تشير ضعف الاحتجاجات في مدينتي دمشق وحلب في بداية الثورة إنما يعود إلى الانتشار الكثيف للطرق الصوفية ومشايخها ومريديها في كلتا المدينتين، وبنظرة سريعة لتوزع مدارس أو الطرق الصوفية في سورية نستطيع أن نفهم أموراً كثيرة، فمدينة دمشق تعتبر معقل النقشبندية بحكم وجود رأسها الشيخ أحمد كفتارو أو خلفائه الحاليين فيها، بالإضافة إلى أنها تضم جماعة القبيسيات التي دعم وجودها البوطي.

وبالرغم من صعوبة التمييز في المواقف نظراً للتداخل والتشابك وتنوع الطرق الصوفية وغياب التنظيم الموحد، يبدو أن التيار الصوفي الوحيد الداعم للثورة كان جماعة زيد، وقسم من القبيسيات، في حين ظهرت الانشقاقات في بعض من التيارات في العلاقة مع النظام لكن بنسب قليلة.

جماعة زيد

تعود تسمية هذه الفئة إلى جامع زيد بن ثابت الأنصاري في وسط العاصمة دمشق، وقد أسسها الشيخ "عبد الكريم الرفاعي" في أربعينيات القرن الماضي، وقد انتشرت في أوساط الطبقة الوسطى الدمشقية المحافظة، عبر شبكة من المساجد والعلاقات ذات الطابع المشيخي، وقد عمدت الجماعة في الستينات والسبعينات إلى تحدي السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي تبناها حزب البعث الحاكم في الستينيات والتي أقصت بالدرجة الأولى أبناء المدن السُّنّيّة من التجار والطبقة الوسطى لحساب العلويين، عبر تقوية الهوية السُّنية للسوريين عن طريق تلقين العلوم الإسلامية والأوراد الصوفية خصوصاً.

ومع الثمانينات وإعادة هيكلة المشهد الديني في سوريا تعرضت الجماعة لضربة أمنية قاسية أدت لهروب الشيخ أسامة الرفاعي النجل الأكبر لعبد الكريم الرفاعي ووريثه في قيادة الحركة من البلاد قبل أن يعود إليها في منتصف التسعينيّات. حيث استطاع الزيديّون إعادة ترميم شبكتهم الدينيّة بسرعة كبيرة، بل والتوسّع والانتشار في الأوساط الدمشقية. وقد شهد العام 2002 سابقة في السياسة السوريّة عندما زار الأسد الابن شيخ الجماعة أسامة الرفاعي، بخلاف التقاليد السياسيّة السوريّة التي تقول بزيارة رجال الدين الرئيس.

ومع اندلاع الثورة السورية شكلت جماعة زيد الاتجاه الصوفي الأبرز المنحاز للثورة، حيث دعا الشيخ أسامة الرفاعي إلى إطلاق سراح المعتقلين والكفّ عن تعذيبهم، مطالباً بإصلاحات سياسيّة للخروج من الأزمة، وفي ليلة القدر الأولى من عمر الثورة تم الاعتداء على الشيخ أسامة في جامع الرفاعي من قبل مؤيدي النظام، وتم اعتقال العشرات ممن أنصاره، مما استفز أهالي دمشق الذين خرجوا في مظاهرات حاشدة، وفي ذلك الحين هرب الشيخ أسامة خارج البلاد مرّة أخرى مع شقيقه الأصغر وعدد من قيادات الجماعة، وأعلنوا وقوفهم الصريح والعلني مع الثورة السوريّة.

بالإضافة لجماعة زيد انضم العديد من مشايخ الصوفية إلى الثورة كالشيخ أنس عيروط من بانياس والشيخ أبو الهدى الحسيني، من الطريقة الشاذلية، وكذلك الشيخ محمد راجح من الطريقة الرفاعية في دمشق، وكذلك مشايخ الطرق الصوفية في حماة، والشيخ رجب ديب ومحمد حبش أتباع الطريقة النقشبندية.

القبيسيات

تأسست حركة القبيسيات على يد منيرة القبيسي بإلهام من طريقة كفتارو النقشبندية. وجماعة القبيسيات تهتم بنشر العلم الشرعي والوعي الروحي بين النساء، وقد انتشرت في ستينيات القرن الماضي في أوساط النساء البرجوازيات السوريات، لتوسّع انتشارها لاحقاً وتنشئ مدارس وجمعيات في سوريا وخارجها، وقد اتخذت الحركة جانب النظام وإن لم تصرح عن ذلك، ففي أيام التظاهر والحراك الشعبي كلفت بعض القبيسيات بالتجول على الجوامع في دمشق لمنع الفتيات من الانخراط في التظاهر، مما دعا العديد من أتباعها لإعلان الانشقاق عن الحركة والاندماج بالثورة بصورة فاعلة.

الشرق وسؤال الهوية.. من جديد

■ خالد كنفاني

لا يلبث الشرق أن يبدأ بتلمس طريقه تجاه حل مسألة الهوية حتى تباغته الخطوب من جديد وتعود الحلقة المفرغة إلى الدوران.

مرت على هذا الشرق نكبات وعصور انحطاط وازدهار (على قلّتها) ومآس وهزائم لا حصر لها، وكان في كل ذلك لاهثاً وراء سؤال واحد: من أنا؟

استعمره الرومان فأصبح رومانياً وفتحه العرب فانقلب عربياً من جديد، ولكن العروبة لم تتوقف هنا، فتحولت إلى أموية وعباسية وحمدانية وإخشيدية، ثم غزاه الترك والعجم فأصبح مملوكياً وعثمانياً وفارسياً، ومن ثم استعمره الفرنسيون والإنكليز وعبثوا أيضاً بمكوناته حتى أنهكه التعب، ومن ثم أكملت حكومات الثورة وما بعد الاستقلال مهمة تمزيقه عبر الحكم الطائفي وتهميش البعض وإعلاء شأن البعض الآخر.

وها نحن اليوم أمام طوفان داعش الذي يعيد تشكيل الخريطة الديمغرافية من جديد عبر تهجير أو قتل الأقليات، أو السكان الأصليين للمناطق التي يستعمرونها إن صح التعبير.

كان الشرق تارة قومياً وتارة إسلامياً وتارة علمانياً، لم يهدأ منذ كتب التاريخ عن أول من سكنه، بقيت صراعات الهوية دائرة فيه على مدى قرون واستعمل فيها شتى أنواع الأسلحة بدءاً من القلم وانتهاء بقطع الرؤوس.

وكان المتسابقون إلى ضم الشرق إلى كياناتهم أكثر من يتحمله هذا الشرق اليتيم، فقد اقتسمته الامبراطوريتان الفارسية والرومانية ردحاً من الزمن، وعاش فيه الكنعانيون والسومريون والبابليون والآشوريون قروناً أخرى، ثم عاد عربياً ولكن بحقب مختلفة وإسلامياً بحقب أخرى، وضمه الأتراك واعتبروه أهم أجزاء امبراطوريتهم الفاشية، ثم تقاسمه سايكس وبيكو على طاولة قمار في ليلة واحدة فأصبح فرنسياً وبريطانياً وأراده القوميون السويون لهم باعتباره أمة واحدة وجاء البعثيون ليعتبروه جزءاً من الأمة العربية، ثم عادت كل دولة بعد الاستقلال لتخترع هوية جديدة لم تكن موجودة أصلاً لتبني عليها خرافة الأمة وخرافة الوحدة الوطنية. فما يميز العراق عن سوريا والأخيرة عن الأردن ولبنان لا يتعدى خطوطاً وهمية مرسومة بجرة قلم تم تقديسها فيما بعد على أنها حدود الأمة.

بقي سؤال الهوية قروناً بلا حل، وهناك مجموعة هائلة من التقسيمات ومعايير الانتماء التي لا يحددها سوى أصحابها، فخذ مثلاً شخصاً دمشقياً مسلماً سنياً واسأله من تكون؟ وستختلف إجابته وفقاً للسائل ومكان السؤال، فهو تارة دمشقي وبالتالي لديه شعور بالاستعلاء والزهو على أبناء المدن الأخرى، وهو تارة مسلم يشعر بعدم الراحة لوجود مسيحيين في مكان تواجده، وتارة أخرى سنياً يختلف مع الشيعة على قضايا لا يستوعبها كلا الطرفين، وتارة أخرى سورياً عندما يكون خارج البلد ويجتمع بآخرين من جنسيات أخرى، ويصبح عربياً عندما تجمعه الظروف بأجانب في أي مكان.

هذا السؤال المقلق بقي معلقاً رهينة أنظمة الحكم وجنون رجال الدين، لم يستطع الشرقيون حل هذه المسألة والتصالح مع أنفسهم حتى اليوم وهم لا يفيقون من نكبة إلا وعاشوا أسوء منها، كانوا على الدوام في قلق دائم تجاه وجودهم وماهية هويتهم والتي كانت كالحبل الذي يتبارى الأقوياء بشده بينما بقي المشرقيون في الوسط يجذبهم المنتصر دون سؤالهم عما يريدون.

إن ما تقوم به داعش اليوم من تهجير وأسلمة وقتل للمسيحيين واليزيديين وغيرهم وبرعاية غربية وخليجية واضحة هو استمرار لمسلسل شد الحبل ولكنه هذه المرة يكتسي برداء دموي يجتاح هذه المنطقة كالوباء. أقصى ردود الأفعال كانت قيام بضعة طائرات أمريكية بقصف مواقع لداعش من ارتفاعات شاهقة لم تكن تصيب شيئاً تقريباً لأن داعش ليست لديها مطارات ولا مقرات عسكرية كبيرة يمكن رصدها مما تسبب بخسائر بشرية لا يمكن لأحد إحصاؤها، ويجب التنويه أن رد الفعل الأمريكي قام بعد أن تعرضت أربيل نفسها للتهديد من داعش، أما ما حدث قبل ذلك من تهجير للمسيحيين واليزيديين فلم يكن يعني شيئاً لأحد، بينما عرض الرئيس الفرنسي أولاند اللجوء والإقامة للمسيحيين العراقيين في موافقة ضمنية منه على تهجيرهم وتغيير التوزيع الديمغرافي للمنطقة بأسرها.

في فلسطين لا يزال سؤال الهوية صامداً حيث يعيش الفلسطيني حالته الفريدة منذ ستة آلاف سنة دون أن يرى أي تناقض أو يشعر بأي حيرة. تبقى قضية وجوده على أرضه هي الجواب على سؤال هويته الأزلي الذي يتحدى به العالم. يقف الجميع ضد الفلسطيني محاولين هزيمته وكسر عزيمته وإذلاله بل والتحالف مع عدوه ولكنه صامد لا تقلقه طائفية ولا يقف في طريقه قومية أو عرقية. وفي هذا يقول المؤرخ السوري الراحل شاكر مصطفى: «إن الفلسطيني مكروه من الجميع لأنه الوحيد الذي لا يزال رافعاً رأسه حين طأطأ الجميع رؤوسهم».

صمدت غزة ليس أمام إسرائيل وحسب بل وأمام العالم أجمع، وكان تكاتف الناس مع قياداتهم وإيمانهم بما يفعلون ويقررون عاملاً حاسماً في هذا الصمود الذي أحرج نتنياهو وحكومته وهو بلا شك سيعرّضهم للمساءلة أمام الكنيست بسبب التكاليف المادية الباهظة للحملة الإسرائيلية التي لم تحقق أياً من أهدافها بل وفشلت في كسر الإرادة الفلسطينية أو حتى زعزعتها. ولا يزال الفلسطيني متصالحاً مع نفسه ومع قضيته نائياً بنفسه عن صراعات مذهبية وطائفية تشهدها المنطقة عموماً في بقاع أخرى لا تزال تعيش تحدي الهوية وقلقها.

لم تستطع حكومات ما بعد الاستقلال إيجاد هوية وطنية جامعة في أي من بلاد العرب بسبب احتكار السلطة ونهب ثروات الأوطان وسياسات التدجين الاجتماعي والسياسي والأخلاقي لصالح عبادة الرئيس أو ولي الأمر أو الملك، لا فرق فالكل يسوس الناس على مبدأ الراعي والقطيع وعلى مبدأ السيد والعبيد، وهكذا تتم صناعة هوية وطنية مصطنعة على قياس عائلة واحدة وتتم تسمية بلد بأكمله على اسمها بل ويصبح مواطنوها أتباع ذات العائلة بل ويحملون اسمها وكأنهم أولاد خطيئة، ولا تجد السعودية غضاضة في دعوة الآخرين إلى مراعاة التعددية والحرية في البلدان الأخرى بل وتتدخل عسكرياً وسياسياً واقتصادياً لتقويض تلك البلدان بدعوى دعم الحرية.

حولت الحكومات العربية مواطنيها إلى عبيد بلا هوية، أوصلوهم إلى كره بلادهم وانتمائهم وحتى أنفسهم، اختصرت الأنظمة العربية الأوطان في شخوص الحكام وتحول الوطن إلى مزرعة للحاكم وزبانيته وارتبطت الهوية بالنظام، فمن «سوريا الأسد» إلى «أردن الحسين» و«عراق صدام» و«ليبيا القذافي» وغيرها انقلبت الهوية إلى شخص ولهذا ماتت بموته.

إن سؤال الهوية هو من أسوء الأسئلة ولكنه من أهمها وأخطرها، فالجواب عليه قد يحدد مصير أمة بأكملها أو وطن بأكمله. ومع الجنون الذي يجتاح هذا العصر تتأخر الإجابة عقوداً أخرى مثلما يتأخر كل شيء في هذه البقعة المشؤومة من العالم.

إلى متى؟ لا أحد يعلم على وجه الدقة، ولكن يوماً ما.

آخر الكلام: يقول محمود درويش

والهويةُ؟ قُلْتُ

فقال: دفاعٌ عن الذات...

إنَّ الهوية بنتُ الولادة لكنها

في النهاية إبداعُ صاحبها, لا

وراثة ماض. أنا المتعدِّدَ... في

داخلي خارجي المتجدِّدُ. لكنني

أنتمي لسؤال الضحية.

عمل للفنان عاصم الباشا 2014

الخوف والمقاومة.. بناء الهوية العلوية في سوريا (4)

فصل من أطروحة ماجستير في الجغرافيا البشرية في قسم علم الاجتماع والجغرافيا البشرية | جامعة أوسلو
■ تورستاين شيوتس وورين - شباط 2007 | ■ ترجمة: د. ياسر نديم سعيد
رابط النص الأصلي كاملاً: torstein.worren.info/downloads

الهيمنة السنّية والتمويه

هناك شعور بالإحباط بين مصادري من العلويين لأنه لا توجد طريقة بالنسبة لهم لاختراق غير العلويين عموماً وجعلهم ينظرون للعلويين الحقيقيين. لا تشكل الطائفية والهوية الدينية موضوعاً للنقاش العام، ولا يوجد ميدان للعلويين للتواصل مع الغير بوجهات نظرهم كمجموعة، وهذا أمر سأعود إليه في الفصل السابع. تنشأ التقييدات في الهيمنة السنّية نتيجة التضاد بين الهيمنة والخطاب العلوي، وكما كان موضوعاً في الفصل السابق فإن الخطاب العلوي المضاد للهيمنة يعيد تعريف أجزاء من الدين الإسلامي كي يتلاءم مع معتقدات العلويين، ولكن هذا الأمر من غير الممكن فعله في الفضاء العام نظراً لكبت هذا الفضاء للقضايا الطائفية.

أكثر من ذلك يشعر العلويون أنهم إذا قاموا بذلك فإنه سيتم وصفهم بالكفار والزنادقة الأمر الذي يشعرون أنهم عانوا منه بشكل كاف عبر التاريخ.

تصف مصادري من العلويين «التقيّة» العلوية (إخفاء الدين) كأمر محدّد لكيفية اختيار العلويين لحياتهم. المبدأ الموجّه لهذا الأمر هو الشعور بالتهديد الموجه لمجتمعهم من قبل الأكثرية السنّية. يشرح العلويون هذا الأمر بواسطة التجارب التاريخية للعلويين وكيف جرى اضطهادهم وذبحهم عبر العصور، وأن التطرف السنّي الذي أدى إلى تلك الحوادث ما زال موجوداً عند سكان سوريا من السنّة.

يتملك المرء أحياناً الانطباع عن كيفية وصف العلويين لسوريا المعاصرة بأن الاستقرار الذي يختبره العلويون الآن هو مجرد فترة راحة من «النظام الطبيعي» حين يكونون الطرف المتلقي لسوء المعاملة والظلم. من الممكن أن نشرح هذه الحساسية أيضاً وكيف يبدو أن بعض العلويين يرفضون خلفيتهم ويقولون أنهم يرغبون لو أنهم كانوا غير علويين مثلما فعل المصدر المشار إليه أعلاه.

يوجد أيضاً على ما يبدو مجموعة من العلويين، بالرغم من عدم امتلاكي معلومات موثوقة حول ذلك، تذهب بالاتجاه المعاكس. فهناك رافضون يذهبون إلى أبعد مما يصل إليه الخطاب الرسمي ويرغبون أن يكونوا مثل الأغلبية بدلاً من ذلك، ويفضّلون أن يخفوا حقيقة أنهم علويون.

انطباعي هو أن أولئك المعجبين بالطبقة العليا المدينية في دمشق ينظرون إلى طرق العلويين في الحياة على أنها غير مناسبة عند البحث عن الاندماج مع الحلقات الثرية والكوزموبوليتية، ولذلك فهذا هو الحال بشكل ممكن أكثر بالنسبة للعلويين الذين يعيشون في مناطق ليست ذات أغلبية علوية (وهي مناطق لم يغطها عملي الميداني).

كونك علوي يصبح لذلك محدّداً لطموحك، الأمر المنتشر بصورة واضحة طبقاً لقرفان (2005/03/28) الذي كتب في مدونته:

«كل واحد يعرف، خاصة أولئك العلويون الذين حاولوا جاهدين الاندماج بمحيطهم السنّي بعد انتقالهم للعيش في المدن الرئيسية أنه لن يتم أبداً قبولهم من طرف السنّة. لا يوجد بيت علوي واحد في دمشق دون قصة أو قصتين من هذه التجارب الفاشلة فيما يمكن أن تسمّيه: محاولات للخروج من جلدك. ما يزال العلويون مسلمين سيئين».

جبال العلويين في الساحل السوري

جميع مصادري، بالرغم أنها تعيش في مناطق يسيطر فيها العلويون تشعر في هذا السياق بالفخر كونها علوية، وهذا أوضح أيضاً عندما أظهر أنا الأجنبي المهتم موقفاً إيجابياً منهم بطريقة تجعلهم مختلفين عن باقي السوريين. ومع ذلك ما زال موجوداً عندهم حالة الدفاعية فيما يتعلق بالأغلبية السنّية، خاصة عندما يُواجهون بالسنّة حتى في أرضهم الخاصة.

يعني كون العلويين جزءاً من المسلمين أن معتقداتهم الرئيسية حصينة، والمثال التالي يلقي الضوء على ذلك: مررت بأحد معارفي من العلويين الذي كان مع مجموعة من أصدقائه في طرطوس وقد دعاني للانضمام لهم. بعد فترة توقف سائح سعودي وسألهم باللغة العربية عن وقت المغرب (صلاة المغرب). تسبّب هذا السؤال ببعض الاضطراب بين أصدقائي لاختلاف اللهجة على الأغلب، ولكن لأن كلمة المغرب تعني أيضاً بلداً مسمى بالمغرب فقد بدأ هؤلاء بإجابة السعودي كما لو أنه يريد السفر إلى المغرب، وعندما أصبح واضحاً أنه يريد معرفة وقت صلاة المغرب التمسوا جميعهم العذر بسرعة قائلين أنهم لم يفهموه بشكل صحيح بادئ الأمر، وأنهم لا يستطيعون الإجابة على سؤاله لأنهم جميعهم من المسيحيين!.

كونهم علويون وبالتالي مسلمون أشعرهم أنه كان يتوجب عليهم فهم مثل ذلك السؤال المهم خاصة عندما يكون السائل سعودياً والذي سخر العلويون منه فيما بعد بقولهم: «كل شيء بالنسبة لهم هو اللّه أكبر» (كلّو اللّه أكبر). بدلاً من مجرد القول أنهم يجهلون موعد آذان صلاة المغرب الأمر غير المقبول كإجابة بالنسبة لحامل هوية مسلم اختاروا أن يخفوا أنهم علويون وتبنوا الهوية المسيحية بدلاً من ذلك، وهي الطريقة الوحيدة المقبولة اجتماعياً لأن تكون جاهلاً بصلاة المسلمين.

حقيقة أنهم جميعاً وضعوا أنفسهم بنفس الطريقة في وجه السعودي «المتطرف دينياً» تُظهر كم هو مستبطن في دواخلهم فعل الإخفاء. ردود أفعالهم لم تصبح قضية إلا بعد ذلك حين سألت أنا عن هذا الذي جرى أمامي. الجواب الوحيد الذي تلقيته أنه كان من الأسهل التعامل بتلك الطريقة مع ذلك الشخص.

هذا الاستخدام الذرائعي للهويات ليس مقتصراً على العلويين بسبب الأحكام المسبقة الطائفية والاعتقاد بأن المرء يُعامل حسب طائفته. المثال الذي يصوّر ذلك هو دور النساء وما هو متوقع منهن. تمتلك المرأة العلوية حرية أكبر في اللباس والسلوك من المرأة السنّية إذا نظرنا إلى كيفية إدراك المجتمع المحيط بهن لهن.

أعرف فتاة سنية في متوسط العشرينات من عمرها تستخدم هذا الأمر لمصلحتها، فهي تلبس وتتصرف بطريقة متحررة كثيراً بحيث يُنظر لها بصورة تلقائية كفتاة غير سنّية (أي علوية على الأرجح أو مسيحية بصورة أقل) ويُلتمس لها العذر في سلوكها الذي يُعتبر بشكل طبيعي مذموماً لو تم الحكم عليها بالمعايير السنّية. من الواضح من أسئلة الناس عندما يرونها تسافر مع أجنبي أنهم يفترضون أنها إما علوية أو مسيحية لأن الفتاة السنّية الجيدة من المفترض أن لا تتصرف بهذه الطريقة أبداً.

تسبّب هذه الفتاة الاضطراب للناس بسبب سلوكها في نفس الوقت لأن لهجتها هي لهجة أهل المدينة المرتبطة بالسنّة. وهي تقول أنها تتخذ الدور الذي يتوقعه منها الناس لأنهم يريدون هذا الاعتقاد بأي حال.

دخلنا في إحدى المرات معاً إلى مكتب عام من أجل بعض الأعمال الورقية، وفي المكتب أدركت هي أنها تعرف أحد الموظفين فذهبنا للتحدث معه. دعانا الموظف للجلوس معه وفي الوقت المناسب من المحادثة التي تلت ذلك ولكي يتأكد من افتراضه بأنها علوية سألها بشكل اتفاقي عن اسم عائلتها. كان اسماً شائعاً بين العلويين ولكنه موجود أيضاً بين السنّة، ولذلك مضى الموظف بسؤالها: «من أين والدها؟» ولما كان والدها قد ترعرع في قرية علوية اعتقد حينها الموظف أنها علوية. بعد أن غادرنا أخبرتني أنها لم تجد سبباً لجعله يعتقد أنها غير علوية وإلا لما قدّم لنا خدمة أفضل مما هو الحال لو عرف أنها فتاة سنّية.

على كل حال إخفاء الهوية بهذه الطريقة لعبة خطرة وقد اعترفت الفتاة نفسها بخطورتها وحسب كلماتها: « السنّة سيقتلونني بشكل مؤكد لو أن الإسلاميين استولوا على السلطة لأنني أتصرف مثل فتاة علوية».

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "4"

■ دمشق – حمزة السيد

حين اقترب الأسد مع زوجته من النحات السوري محمد بعجانو ليشرح الأخير له العمل الذي أنجزه في ملتقى النحت "حوار بين جيلين الذي أقيم في عام 2010، فوجئ جميع الحاضرين بأن الأسد يعرف بعجانو، ليست المفاجئة من المعرفة بين الرجلين، بل هي في أن بعجانو لم يذكر تفاصيل المعرفة أبداً، إذ قال الأسد لزوجته مستنكراً عليها أنها لم تميز بعجانو "هو من نشتري من أعماله قبل السفر بشكل دائم كي نهدي معارفنا منها حول العالم" كان بعجانو في هذه اللحظات خجلاً للغاية، يداه تبحثان عن مكان مناسب في جسده كي تتموضعان به، فيما عيناه لا تفارقان الأرض وقد أحمر وجهه خجلاً من ما قاله الأسد، وخلفه ثوره الحجري الكبير.

أنجز بعجانو في هذا الملتقى ثوراً كبيراً من الحجر التدمري وصل ارتفاعه إلى أربعة أمتار، ومن المعروف عن بعجانو أنه ينفذ كامل عمله بيديه، الثور الذي يركز عليه بعجانو في أعماله ويكرره دائماً هو رمز الخصب في حضارات الشرق الأوسط القديمة، يقول النحات الخجول والطيب، والذي تتلمذ كما هو حال أكثم عبد الحميد على يد سعيد مخلوف في سبعينات القرن الماضي، بارع في النحت على الخشب كما هو في التعامل مع الحجر، يشبه ثيرانه التي ينحتها، ضخم الجثة بيد تليق بنحات، قليل الاختلاط بالآخرين، ويرفض مغادرة مدينته اللاذقية التي يعيش فيها العزلة، ورغم نصائح عبد الحميد الدائمة له بالسكن في دمشق، ظل بعجانو الذي يدرس في معهد صغير في اللاذقية لا يزو العاصمة إلا للمشاركة في ملتقياتها أو معارضها.

اعتاد بعجانو في السنوات الأخيرة على إضافة مواد أخرى لأعماله كالحديد والنحاس، في ثوره الذي أنجزه في ملتقى 2010، زين بعجانو أنف الثور بحلقة حديدية كبيرة، ونحت قرنين من حجر ذي لون فاقع، وزين جسده بالزخارف والأيقونات، بقي العمل في أرض مدينة المعارض لفترة طويلة، ولم ينقل منها، حتى صدر قرار نفذته محافظة دمشق، نص على هدم العمل لأنه يدعو للماسونية، فهدم العمل وكسر، وصمت بعجانو ولم يدلي بأي تصريح رغم إلحاح بعض الصحافيين عليه.

من يعرف أعمال بعجانو يعرف أي تأثير تركه فيه مخلوف، وكيف امتد تأثير مخلوف به وبصديقه أكثم عبد الحميد وصديقه الذي قضى في حادث سير مظهر برشين عام 2005، وإن كان برشين برأي الكثير من النقاد هو الأكثر مهارة بين التلاميذ الثلاثة، ففيما تظهر المرأة كعنصر رئيسي في أعمال الثلاثة المبكرة، بذات العيون التي ألفها مخلوف وورثها الثلاثي، تستمر الرموز في تكرار نفسها بطرق مختلفة تعود لكل واحد منهم، إلا أن وحدة الخامات كخشب الزيتون، وتشابه التكوين العام، وتطابق المواضيع يجعلك لا تدرك لمن يعود العمل أحياناً،

«ثور» بعجانو من الحجر التدمري 2010

ومع أن هذه الوحدة في أعمال مجموعة من الفنانين طبيعية وتاريخية، ك "بيكاسو وبارك" والرومانسيين الفرنسيين، أو حتى الانطباعيين الأوائل، إلا أنها كانت بل هدف واضح في تجمع الثلاثي عبد الحميد بعجانو برشين، سوى أن القاسم المشترك الذي انطلقوا منه هو الذي جمعهم وليس الهدف الفني المشترك، فلم يفلح الثلاثة، مع ملاحظة رحيل برشين المبكر، من تأسيس حالة سورية فنية، أو وضع مبادئ لمدرسة سورية في الفن الحديث.

لا يعرف حتى الآن فيما إذا كان بعجانو قد شتم الذات الإلهية في المعرض السنوي عام 2004، إذ قرأ البعض من زوار المعرض عبارة محفورة على عمله الخشبي الصغير فيها هذا الشتم، فيما اعتبر آخرون أن هذه الخدوش هي من أصل الخشب ولا تشكل حروفاً، ضحك بعجانو حين سأل عن ما هو مكتوب على عمله ولم يجب، فيما لا يعرف له أي تصريح عن الحدث السوري الحالي، فالرجل قليل الظهور على الإعلام، اكتفى بمتابعة التدريس وبعض المعارض الصغيرة في اللاذقية ودمشق.

قبل أن يقضي مظهر برشين في حادث سير على طريق حماة دمشق صيف 2005، كان يعمل في قسم الديكور في التلفزيون السوري، وكتب في مذكراته أنه مشتاق للنحت، كان يرسم "اسكتشات" ينوي أن ينفذها في يوم من الأيام، ويكتب عن مدى كرهه للعمل في الديكور التلفزيون الذي لا يعمل به إلا بسبب المال، رشيقة هي تلك الرسومات التي تركها برشين، نساء ملتفات، مختصرات، قليلات التفاصيل وكثيرات بها

في ذات الوقت، ما تركه برشين من رسومات أولية وملاحظات نصية طبعت في كتاب بعد وفاته، فيما نفذ أحد أعماله في ملتقى المدنية الجامعية في دمشق عام 2002 تكريماً له.

من كتب عن برشين كثيراً هو محمود شاهين، النحات المدرس في كلية الفنون الجميلة بدمشق، صاحب المنحوتة الواحدة التي تكرر إلى ما لا نهاية، الدكتور الذي درس في دول شرق الاتحاد الروسي، قدم امرأة لا تكاد تختلف عن سابقاتها في منحوتات صغيرة سكبها من البرونز، وعرضها للبيع في كل صالة تستقبل معرضاً، فيما يعمل في جامعة دمشق قسم النحت، ويتهمه طلاب تخرجوا من الكلية بالتمييز الطائفي بين الطلبة، ويقولون إنه يدعم طلاب طائفته فقط فيما يظلم آخرين.

لم يقدم شاهين حتى الآن عملاً واحداً فريداً أو صبغة مختلفة، ففيما يقدم أعمالاً سبق ووصفناه، يعمل في الملتقيات على تنفيذ أعمال لا تشبه إنتاجه أبداً، ففي ملتقى المحبة عام 2002، نفذ شاهين تكويناً هندسياً بسيطاً أنجزه سريعاً وقبل الوقت المخصص لنهاية الملتقى، سرعان ما وضع في مدخل المدينة الرياضية في اللاذقية كواحد من أهم أعمال النحت السوري المعاصر، وكبقية فنانين جيله يتابع شاهين مسيرة فنية خجولة لا تحمل أي جديد، ولا يهتم كثيراً بتحقيق عمل فني يحاكي أي هم أو أي قضية كبرى، وباستثناء تناسق التكوين المنجز مع مكونات غرفة معيشة ما من المتوقع أن يقوم صاحبها بانتقاء عمل له، تكاد تكون بعض أعماله لا تساوي قيمة البرونز الذي سكبت منه.

جورج صيدح 1893 - 1978

■ ياسر مرزوق

ولد جـورج بن ميخائيل بن موسـى صيدح عام 1893 في حي زقاق الصواف الإسلامي في دمشق، بالقرب من مكتب عنبر، لأسرة مسيحية سـورية نالت حظاً وافراً مـن التعليم، حيث كان والده قاضي الاستئناف في دمشق طوال ثلاثين عاماً، وتعود أصول الأسـرة إلى عشيرة الصداح العربية، التي انتقل جزءٌ منها ضم عائلة صيدح مـن الكرك فـراراً مـن العثمانيين إلى الشـمال الشـامي، وتذكـر بعـض المراجـع أن تسـمية الأسـرة ترجع لاشـتهار بعض رجالاتها برخامة الصوت.

تلقـى علومـه الأولية في إحـدى المدارس الابتدائيـة فـي حـارة الكنيسـة المريميـة عام 1899، وقضـى في هذه المدرسـة عاماً واحداً، ثم نقل إلى المدرسة الآسـية وبرع فيها باللغة العربية بفضل أسـتاذه العلامـة فارس الخوري الذي شـجعه على نظم أول قصيدة وإلقائها في إحـدى الحفلات التـي أقامتها المدرسـة، ونظراً لشـغفه باللغة العربية أهمل اللغة الفرنسـية فعاقبه والده بإرسـاله إلى كلية عينطورة للآباء العازاريـيـن فـي لبنان لتعلـم اللغة الفرنسـية ونـال شـهادتها عـام 1911 ثـم اضطـر لترك الدراسـة ليلحـق بإخوته في مصر عـام 1912 للعمل معهم في التجارة وبالرغم من انشـغاله في عملـه التجاري أخـذ ينظم قصائـد الحنين والشوق لدمشق ومنها:

هجرت ربوع الشام والقلب مثخن
جريحُ سهام كان أقتلها الهجر
سقى الله جنّاتٍ سقتني حنانها
كأم على أحضانها الولد الغر

في مصـر أمضى صيدح ثلاثة عشـر عاماً، وأصيب بنكبـة مالية بعد نجاح كبير، فاتجه إلى أوربـا سـنة 1927، وتـزوج من فتاة فرنسـية، ثـم سـافر في نهاية عـام 1927 إلـى كراكاس عاصمة فنزويلا، وأقام فيها عشرين عاماً يعمل بالتجـارة، وهناك أنشـأ مجلـة « الأرزة » باللغة الإسـبانية والتـي نقل فيها إلى قراء الإسـبانية صوراً عن أدبنا العربي في ماضيه وحاضره.

وفي عام 1945 ومع اسـتقلال سـوريا عن المسـتعمر الفرنسـي، رغبت الجالية السـورية فـي فنزويـلا بمعرفة العلـم السـوري الجديد، فكتب صيـدح مقالة في جريـدة «البيان « التي تصدر في نيويورك دعا فيه بالحكومة السورية أن تهدي السـوريين المقيمين في فنزويلا علماً سـورياً من الطـراز الجديـد، وكان أول الملبين للنداء السـيد ناظم القدسـي أول وزير مفوض مثّل سـورية في العاصمة الأمريكية واشـنطن فأرسـل لهم العلم السـوري، وبعد وصول هذه الهدية العظيمة كتب صيدح رسالة شكر ضمنها هذه الأبيات:

وصلت هديتك **التي**
قبل الوصول شكرتها
يا راية أنزلتها
في خافقي وذخرتها

لما بلغ الخمسـين مـن العمـر انصرف إلى المطالعـة والسـياحة، فانتقـل في عـام 1947 إلـى الأرجنتين، وهناك طبع ديوانـه «النوافل» ورصد ريعه للجان الدفاع عن فلسطين، وأسس جمعيـة « الرابطة الأدبيـة « التي ضمت كوكبة مـن الأدبـاء والشـعراء العـرب المقيمـيـن فـي الأرجنتيـن منهم إلياس وزكي قنصل وحسـني

عبد الملك وجورج صوايا، وقد نشـر صيدح في الصحف العربية دعوة شـعرية لعقد أول جلسة في منزله، ومنها هذه الأبيات:

مساء يوم **الأربعاء المقبلِ**
موعدنا يا سيّدي في منزلي
غايتُنا الترويحُ عن أنفسنا
بنفحةٍ من نفحاتِ الأمـل
بجرعةٍ من أدبٍ مقـطّرٍ
وحقنةٍ من سمرٍ معلّـلِ
تجمعنا رابطة روحيـة
من يعدل الدنيا بها لم يعدلِ

وفي صيف1951 اختار الرئيس الأرجنتيني الجنـرال خـوان بيـرون الشـاعر جـورج صيدح ليرافـق مندوبه إلى سـورية ولبنـان في مهمة لدى رئيس الجمهورية السورية، فانتهز شاعرنا هذه المهمة لزيارة مسـقط رأسـه دمشق التي غاب عنهـا أربعين عاماً، ودعتـه محطة الإذاعة السـورية لإجراء حـوار إذاعـي معـه، وكرّمته الهيئات الأدبية في البلدين.

عـاد ليسـتقر بيـروت فـي شـهر تشـرين الثاني عـام 1952 وانفرط عقـد الجمعية التي كانـت تجتمع مسـاء كلّ أربعاء فـي منزله وفي العـام التالي تزوجت أبنتـه الوحيدة جاكلين من الصحفي اللبناني حنا غصن.

وفـي عـام 1956 كُلف الشـاعر صيدح من قِبـل المفكّـر سـاطع الحصـري مديـر معهـد الدراسـات العربيـة فـي القاهرة آنـذاك بإلقاء محاضـرات عـن الأدب المهجـري، وقـد جُمعت تلـك المحاضرات في كتاب « أدبنـا وأدباؤنا في المهاجـر الأمريكيـة» والـذي قال فيـه صيدح: « أدب المهجـر رسـالة عربيـة لـم يلصـق بها الغـرب إلا طابع البريد.. وهو فرع يباهي بأصله ويعتـرف بفضل الجـذور عليه». كمـا هو «كنز خالد لم تظفر بمثله اللغة العربية وهو يضاهي أرقى الآداب العالمية الحية»

ويضيـف: «الثقافـة الإسـلامية ازدهـرت وتمجـدت فـي أوسـاط المغتربين المسـيحيين وشعت اشعاعاً عفوياً كما نرى في شعر القروي وفرحات وسواهما. ثم ان الشاعر المصري أحمد زكي أبو شـادي الذي عايـش الأدباء المهجريين وخبـر نزعاتهم عـن كثب، أكد أنه وجـد الأدباء المسـيحيين يغارون علـى الثقافة الإسـلامية. على الرسول صلى اللّه عليه وسلم غيرة بالغة» وكان صيـدح قد نظـم قصيدة رائعـة في مدح النبي(ص) باسم «حراء يثرب».

عـام 1959 عاد إلـى باريس واسـتقر فيها إلـى أن توفـاه اللّه عـام 1978، بعـد أن أثـرى المكتبـة العربيـة بالعديد مـن المؤلفات أهمها ديـوان «النوافـل، ونبضـات، حكايـة مغتـرب، شـظايا حزيـران، ديوان صيدح»، كما نشـر في مجلة الأديب اللبنانية عشـرين قصيدة: النجمة الشـاحبة - هذيـان - كوكتيل على الشـاطئ - سـاعة التجريح - حمائم لبنـان - دعي الكؤوس - وحـي العيـد - قصيـدة جـورج صيـدح - في نشـوة العيد - جناح الليل - اللقاء الأخير - عزلة - المهاجـر، ولـه بجريدة «البـرق» قصيدة: إلى امرأة، ولـه بمجلة «الآداب» قصيـدة: إلى القمر المسخّـر.

كما ترك رسـائل كثيرة، هي مراسلات بينه وبين أدباء عصره، نشرتها مجلة «الأديب»، كما نشـر عدة مقالات في الصحف والمجلات بتوقيع «ج. ص «، لـم تنشـر فـي كتاب خـاص، وألف كتابين: «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية « و» الشعر العربي المعاصر «بالفرنسية.

قال عنه الشاعر نزار قباني:

«سـعى صيـدح إلـى المهاجر على سـفينة مجذافها يحن إلى ورائه، وفي المهاجر لم يتحول الموال إلى نغمة من نغمات الحجاز، بل ظلّ موارا بخصائصه العربيـة العميقة، وظل يذكر جذوع الشـوح، وهفيف التنانير التـي تعلم منها الرقة الأولـى، ودموع الياسـمينة الباكية فوق البحيرة الشادية في داره الأولى.. في دمشق».

وقال الأديب عبدالله يوركي الحلاق:

«تتجلى في شـاعرية الأستاذ جورج صيدح ناحيتان مهمتان هما: الإنسـانية بأرفع معانيها، والقوميـة بأبرز مقوماتها. فهو إنسـان يسـري النبـل في دمـه وتتألـق الوطنية فـي قصائده ويتدفق الخيـر من قلبه والصـدق من عاطفته ولسانه وبيانه».

وقال الأديب عيسى فتوح:

«صيدح هو الشـاعر المتعدد الجوانب الذي مـلأ دنيـا العروبة بقصائـده القوميـة الرنانة، ووضـع كل مواهبه وطاقاته المبدعة في خدمة وطنـه وأمته التي حمل همومها صليباً وجلجلة، ومـات وهو يحمل هـذا الصليب لاهثـاً، فلا هو أسـتطاع أن يصل إلى الجلجلة، ولا هو شـاء أن يلقي الصليب ويستريح».

وقال عنه الأديب عبد الغني العطري:

«كان صيدح من الشـعراء الأعـلام، لكنه عـاش معظم سـنوات عمره بعيـداً عن الوطن، طوحت به الأيام في مشـارق الأرض ومغاربها، فنسـيه الكثيرون مـن أبناء وطنـه، وفقد جانباً من شـهرته التي يسـتحقها، أرّقـه الحنين إلى الوطن، ومزقه الشـوق إلى مسقط رأسه، فجاء شـعره حافـلاً بالشـوق والحنين إلى دمشـق، وخاض معركـة البحث والدراسـة، فوضع كتاباً عـن الأدب والأدباء في المهجـر، وكان أفضل ما خطته الأقلام في هذا الموضوع... جورج صيدح شـاعر كبير، ظلمتـه الغربة، والبعـد عن أرض الآباء والأجداد».

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

1991/12/17

نودي اليوم على ديب أبو نقطة الذي وقع خطأً في اسمه وغادر، ونادوا على بسام علاوي من التيار الديني ومن المهجع العاشر وكان موعوداً بالإفراج منذ ستة أشهر . وقد علمنا أنه أفرج عن أربعماية البارحة، واليوم سيفرج عن مايتين من التيار الديني . وسمعنا اليوم أن ضابطاً قد حضر من الأمن العسكري وطلب ممثلاً عن حزب العمل، قيل للتفاوض، فسألنا عن السبب فقيل أن بقية هذا الحزب المتخفية والتي تعمل ضد النظام، وهذا الحوار، إذا تم، فهو ابتزازي.

رأيي الخاص: التوقيع على أي تعهد لا يقدم ولا يؤخر، فالذي يريد أن يعمل لا يمنعه التعهد من عدم العمل، والذي لا يريد العمل لا يجديه التمسك بعدم التوقيع، فالسجن صار عبئاً ثقيلاً والتجربة علمتنا عدم التمسك بالشكليات.

وزير خارجية فرنسا ديما قادم إلى سورية الخميس ومن جملة أعماله قضية حقوق الإنسان في القطر والإرهاب وتحسين العلاقات بين أوربا والنظام السوري.

1991/12/18

وقع في يدي عدد حزيران 1990 من مجلة /فن/ وفيها ندوة عن الموسيقى العربية من فرسانها: توفيق الباشا أستاذ الموسيقى والدكتور وليد غليمه السمفوني، والموسيقار، ونزار مروة ابن المفكر العربي الكبير حسين مروة. ويبدو أنه من المتبحرين بتاريخ الموسيقى، والمدعو نبيه الخطيب.

انغمست في قراءة حوارات هذه الندوة، وهي شيقة وعميقة ومليئة، وقد أمضيت ثلاث ساعات في قراءتها سأحاول قراءة هذا الحوار مرة أخرى فمعلوماتي الموسيقية متواضعة ومحدودة.

1991/12/19

أذيع قرار العفو من كل الإذاعات وقد سمعته من مونت كارلو . سمعنا أن دوريات الأمن والباصات والقوائم في سجن تدمر، وإخلاء السبيل شمّال لمن بقي حياً. فهذا السجن الرهيب نفذت فيه آلاف الإعدامات العشوائية وحدثت فيه مجزرة رهيبة نفذها قطاع رفعت العسكري كما مات آلاف تحت التعذيب.

1991/12/20

انشغلت قبل الظهر بقراءة في مجلة / الناقد/، وإعادة قراءة الحوار الفني في مجلة / فن/ حول الموسيقى العربية، وقرأت بعضاً من تحقيق حول الفنانة ماجدة، واسمها الحقيقي عفاف بنت كامل الصلاحي . أما في الناقد فقرأت فقرة من أرجوحة محمد الماغوط التي لا يبدو عليها أنها رواية حدَث، وقرأت قصة عنوانها «حكاية الليلة السادسة» لسحبان مروه، أما القصة الأخرى بعنوان «حفنة وسخ» للعراقي خالد القسطيني.

جاء وقت الغداء، وشربت الشاي بعد الغداء مع الصديق يوسف السعيد، وإذ تحدث ضجة، فخرجنا نستفسر، وإذ هناك تلاوة لقائمة أسماء اثنين وثلاثين اسما.

وقال المساعد الذي تلا الأسماء إن بقية الأسماء ستأتي خلال الأيام القليلة القادمة.

وعلمنا أنه أخلي سبيل أربعة آلاف سجين من الاتجاه الديني من تدمر خلال الأسبوع المنصرم. وأكثر من 16 فرداً من المكتب السياسي، كما أفرج عن أكثر من مئة من اللبنانيين المسجلين لصالح «التوحيد» الطرابلسي، وأربعة من «المرابطون».

1991/12/21

انتظرنا عشر سنوات، فلننتظر كما يشاؤون، لسنا مستعجلين. الطقس في الخارج بارد وضباب، وكل يقيس الطريق إلى محافظته على هواه .. الكل منتظر ويقول: كرّت السبحة، وتحرك الركود.

والحالة هكذا يصبح النوم صعباً، فالكل قلق وسهران، فإن نام البعض فهو نوم غير مستقر . وقد انقطعت الزيارات وأوقفت، كما أوقفت /فواتير/ الخضرة والمؤن، والسجن يعيش حالة استنفار استعداداً لاستقبال دوريات الأمن، حاملة القوائم. وهكذا نأكل ونطبخ ما تكدس من مواد تكفي لهذه الفترة الانتقالية الحرجة.

إنها الحرية ... الطائر الذي يطوف خائفاً فوق تلال الخراب، ويصفق بجناحيه قرب الأطلال المتهدمة الشوهاء، ويتربص به جميع الكواسر من الطيور. لأنه يمر على الدروب الممنوعة .. بانتظارك أيها الطائر وقد امتلأت قلوبنا بالخوف.

1991/12/22

عبد الوهاب المحاميد صنّع لنا نابلسية لأجل الإفراج القريب، ووعدنا إذا امتدت الأيام سيعمل لنا عوامات وكذلك زلابية.

الساعة الآن الخامسة والنصف مساءً. جاءت قائمة إلى السجن وأفرج عن قرابة مئة وخمسين من التيار الديني، والجميع بلا زيارات منذ عشر سنوات . ونُودي اليوم على فالح عبد المتعال من حمص الذي يعود إلى بيته لوحده دون أخويه اللذين أعدما .. أهلك بانتظارك يا فالح، لم يبق سواك.

1991/12/23

عدت أقرأ بمجلة /فن/ الشهرية، وهذه المرة الأولى التي أقرأها وأراها، وهي جديرة بالتقدير، وسوف تخسر نفسها إذا أصبحت أسبوعية، وقد صدرت هكذا منذ عشرين شهراً، يستطيع المرء أن يكوّن بواسطتها ثقافة غنائية وفنية وموسيقية، وقد أراحتني لاتجاهها الوطني ورصانتها.

قرأت عن محمود مرسي الذي غادر عمله في هيئة الإذاعة البريطانية احتجاجاً على اعتداء بريطانيا على مصر عام 1956، وكان قد أنهى دراسته في كلية الآداب في جامعة القاهرة، ودرس الإخراج المسرحي في معهد الأويك الفرنسي، واطلعت على آراء ماجدة والتي تنتسب إلى ثورة يوليو، ونقدها للاستهلاك في الفن، ورخْص الكثير من الفنانين، متخلين عن النظافة والجدية في سبيل الكسب.

كذلك طالعت بحثاً عن الدبكة اللبنانية في البقاع (العرجة) في ريف بعلبك، وتاريخ هذه الدبكة التي تعود إلى أيام صلاح الدين الأيوبي، وهي قدمت مع القبائل العربية التي سكنت يومها البقاع لحماية ظهره أثناء حروبه المجيدة.

خرج اليوم من التيار الديني 86 شخصاً.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

المواطنة والتغيير

■ إعداد المحامي فارس حسّان

ما حدث في عالمنا العربي ومازال، أتى تعبيراً عن استحالة التعايش مع التأخر عن ركب الحضارة، واستحالة التعايش مع أزمة الثقة بين السلطة والناس، وأزمة المعيشة والاقتصاد، وأزمة النظام المجتمعي وغير ذلك كثير، وكان التغيير ولا يزال حاجةً ملحة للشعوب العربية التي عاشت خلال عقود ما اصطلح على تسميته بحالة الثورة ومعها فإن أي وطن يبدأ في معاناة القلق من أحواله، وضعف الثقة في مستقبله، بمعنى إحساسه المتزايد مع كل يوم بأن أموره لم تعد تتفق مع آماله، وأن واقعه لم يعد متسقاً مع أمانيه، وأن التغيير أصبح يزداد إلحاحه كل يوم، ثم إن الغضب يساوره والاستفزاز يستثيره، وأن مشاعره تتحول إلى شحنات مكبوتة تبحث عن منفذ تكسر به قيدها وتحرر إرادتها.

أما المرحلة الثانية فهي ما يمكن تسميتها بحدث الثورة وتلك هي اللحظة التي يقع فيها الانفجار، سواء بتخطيط دقيق ومحكم أو بمفاجأة على غير انتظار تشعل فتيل الشحنات المكبوتة، وتقوم بتفجيرها وسط مجموعة من الظروف تتفاعل وتتدافع، وإذا سلاسل القيد تنكسر، وإذا السلطة القائمة تعجز عن المواجهة بوسائلها التقليدية، ثم يبدأ نظامها في التداعي حتى إذا لم يتحقق السقوط مرة واحدة.

أما المرحلة الثالثة فهي ما يمكن تسميتها بفعل الثورة، وذلك حين يتم انهيار القديم وقيام البديل، ويتقدم من يمثل الثورة ويتحمل مسؤولية هندسة رؤاه وتصوراته، ويضع الأسس ويقيم الأعمدة لبناء قوي يتحمل مطالبه، ويتسع لأمانيه، ولما أصبح في مقدوره الآن ولو بالتجربة والخطأ أن يقرره وينفذه بحريته، وفي العادة وباستقراء التاريخ فإن الوصول من حالة الثورة إلى حدث الثورة يستغرق فترة طويلة، لكن الوصول من حدث الثورة إلى فعل الثورة لا يصح أن يستغرق زمناً طويلاً، فالتاريخ كما يكتب كارل ماركس لا يعيد نفسه إلا بشكل سخرية أو بشكل مأساة بائس وفوق ذلك كله تُحل القضايا بالأساليب أي الطرق التي تساهم من خلالها الظروف التاريخية في رسم وتحديد الانتقال من الحكم التسلطي إلى قيام الدولة المدنية المرجوة.

وللانتقال إلى فعل الثورة تظهر العلاقة جليةً واضحة بين المواطنة وأي شكل من أشكال التغيير، حيث يعرف سمير مرقس في كتابه « المواطنة والتغيير « المواطنة بوصفها: « حركة الإنسان اليومية، مشاركا ومناضلا من أجل حقوقه بأبعادها: المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، على قاعدة المساواة مع الآخرين من دون تمييز لأى سبب (اللون/ الجيل/ الجنس/ العرق/الدين/ المذهب/ المكانة/ الثروة)، واندماج هذا المواطن فى العملية الإنتاجية، ومن ثم المجتمعية، بما يتيح له تقاسم الموارد فى إطار الوطن الواحد الذى يعيش فيه مع الآخرين «.

وأهمية هذا التعريف أنه يحرر المواطنة بعض الشيء من القراءة الحصرية الدستورية القانونية التى تحصرها فى كلمتي الحقوق والواجبات، كذلك الدلالة المعنوية التى توحدها بمفهومي الولاء والانتماء أو ما يعرف بالبعد الشعوري للمواطنة. فالمواطنة بحسب ما رأينا ـ فى الخبرات والأدبيات المعتبرة ـ لا يمكن فهمها باعتبارها مفهوما سكونيا، وإنما من خلال الممارسة، لأنها لا تتبلور إلا من خلال حركة الناس على أرض الواقع فى نضالهم من أجل جعل عناصر التعريف السابق متحققة من: مشاركة، وتوافر الحقوق بأبعادها، والدفع بالمساواة كي تكون حقيقة، وأخيرا التمتع بالثروة العامة للبلاد. أي أن المواطنة لا تتكون بقرار فوقى، وإنما بالجهد المبذول من قبل الناس على أرض الواقع.

وعليه لا يمكن فهم المواطنة بمعزل عن السياق الاجتماعي الذى يتحرك فيه الناس بحثا عن المواطنة، كذلك بعيدا عن فهم موازين القوى الاجتماعية السائدة والتحيزات الثقافية الناتجة، وهيكل الدولة، والأيديولوجية المهيمنة، ونمط الإنتاج القائم، وبالبناء الطبقي الذى يميز مجتمعا من المجتمعات فى لحظة تاريخية معينة.

ويعنى ما سبق أننا نتجاوز الرؤية النصية للمواطنة، إلى رؤية ترى المواطنة فى سياق ديناميكي بفعل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي ـ الديني، وعليه فبمقدار ما يتحرك المواطن واعياً بالسياق الذى يتحرك فيه تتحقق المواطنة.

إن أحد المداخل الرئيسية لإنجاز التغيير، الذي بات الشغل الشاغل للجميع على مدى الأعوام الأخيرة والتي حفلت بالكثير من التغييرات الاجتماعية والأحداث السياسية، فالمدخل العام لإنجاز التغيير هو المواطنة التي تعني حراك الجماهير، فالتغيير لن يأتي إلا بتحرك الناس، ومتى تحرك الناس أي مارسوا مواطنتهم يحدث التغيير

إنها علاقة شرطية وجدلية في آن واحد بين المواطنة والتغيير، في مواجهة بنية الاقتصاد الريعي وأشكال التنظيم البدائية التي يديرها تحالف البيروقراطية العتيقة، ومع الاقتصاديين والعسكر، من خلال الحفاظ على مفاهيم تتنافى مع التطور السياسي من حيث إعادة انتاج أشكال التنظيم الأولية من جانب ودعم الاقتصاد الريعي الذي يؤمن وسائل الإثراء للنخبة التي تمسك بمنابع الريع وتوفير الحاجات الدنيا للرعية من جانب آخر، مما يعني إعاقة حقيقية لأي تغيير مأمول نحو استكمال بناء الدولة المدنية الحديثة أو تأسيس جديد لها من جهة، وإلى انطلاقة اقتصادية ذات طابع انتاجي مبدع يقوم على مشاركة جميع عناصر المجتمع والدولة.

فواز طرابلسي: ثورات بلا ثوار

■ ياسر مرزوق

تحتفي سوريتنا دائماً بالإنتاج الثقافي الثري الذي يقدمه فواز طرابلسي للقارئ العربي، وهو المؤمن دائماً بحق هذه الأمة بحياةٍ أفضل، وهو المدافع عن فكرةٍ مفادها أن ما يجري في عالمنا العربي هو ثورات لقلب الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي فقدت شرعيتها الداخلية بعد أربعين عاماً من الحكم أو أكثر. وفي كتابنا اليوم يقدم طرابلسي قراءةً للظاهرة الأبرز التي تجتاح حياتنا العربية اليوم، أي الثورات العربية أو ما يعرف بثورات الربيع العربي، أو الثورات ضد الاستبداد والدكتاتوري، ولا يخفي طرابلسي تعاطفه مع هذه الثورات بوصفها حركة تاريخية تقدمية ونهضوية.

يضمّ الكتاب خمس دراسات تتأمل تأمّلاً نقدياً في الثورات العربية، إضافة إلى خمسة وثلاثين مقالاً هي عبارة عن متابعات أسبوعية مواكبة لمسارات هذه الثورات، وتتمحور جميعها حول فكرة أن جذرية الثورات العربية مستمدة من كونها رد فعل غاضب يائس أحياناً على عقود من حكم أنظمة جمعت الاستبداد إلى الانخراط في عملية التحويل الهيكلي لاقتصاديات بلادها ما اضطرها إلى المزيد من الاستبداد لتطبيق إملاءات البنك الدولي. وقد عبر شعار عمل درية خبز في صيغته التونسية أو عيش حرية عدالة اجتماعية في الصيغة المصرية التعبير الأدق عن هذا التلازم بين الاحتجاج على البطالة الناجمة عن تريبع الاقتصاديات واختيار طريق التحول الديمقراطي والتوق إلى العدالة الاجتماعية في وجه الفساد والاستغلال والإفقار وتعميق الفوارق الطبقية.

يشير الكاتب إلى أن هذه المسارات الثورية أكثر تعبيراً عن الغضب والرفض والوجع المتراكم على مدى أربعة أو خمسة عقود من الزمن مما هي صادحة بموسيقى المستقبل «ماركس». وهي السمة الأبرز لما وصف بأنه ثورات بلا تنظيم وثورات لا تطمح إلى السلطة، وهي التي تشكل الخطر الأكبر عليها.

وفي جردٍ بسيط لما حل بالأمة في الفترة السابقة يؤكد أننا أمام حالة جوفية تلتقي فيها الملايين للمطالبة بإسقاط النظام وهي حالة شعبية تؤكد استحالة التعايش مع نظام استبدادي أساسه الجيش والأمن، ويصف ما حل بتونس تحت مظلة أمريكية واضحة من إبقاء للأنظمة مع الإطاحة بالرؤساء، وكذلك الحالة اليمنية التي كانت تحت غطاء أمريكي أيضاً قدمت فيها المبادرة الخليجية التي رممت النظام وأبقت على أركانه بمن فيهم زمرة الرئيس علي عبد الله الصالح.

أما الحالة السورية فيرى أنها تحولت إلى حرب أهلية شبيهة بالحرب الاسبانية عام 1939، والسبب رد النظام العنيف على المتظاهرين منذ البداية ومنع الناس من التجمع وإعلان أن حربه هي حرب ضد الإرهاب، في ظل تواطؤ عالمي كامل، فالثورات عندما تواجه بالقمع تتحول إلى السلاح.

يعترض طرابلسي على تسمية "الربيع العربي" التي أطلقتها الصحافة الغربية، وتلقّفها الصحفيون والمثقفون العرب، لأن التسمية تحيلنا إلى مرجعيات أوروبية من زمن تأسيس الجمهوريات الديمقراطية، أو التمرد على النظم الشيوعية، ولأنها توحي بحدث طبيعي دوري، يمكن أن يتبعه خريف الثورات أو شتائها، في حين أن ما تشهده المنطقة العربية، هو حدث استثنائي بكل المعايير..

كما يعتبر أن الثورات هي نتيجة حتمية لحال التردي المتعاظم الذي عاشته المنطقة بأسرها، وأزاح المجتمعات والدول نحو حافة الانهيار، الثورات العربية أتت تعبيراً عن استحالتين، استحالة استمرار النظام الحاكم، واستحالة أن يستمر المحكومون في تحمله، أو الاستحالتين معاً، ولا يقتصر المسار على السياسة فقط، بل يتعداه إلى كل بنى السلطة والمجتمع، التي تعاني من خلل بنيوي مؤسساتي في طريقة عملها، يستدعي التغيير الجذري، حيث يقول في الصفحة الثانية عشر «لا يقتصر هنا على السياسة بل يطال كافة أوجه النظام القائم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية».

يرصد المؤلف عدة متغيرات أحدثها المسار الثوري، أولها إعادة الاعتبار إلى تعيين المنطقة بوصفها عربية، مقابل الشرق أوسطية، أو كونها جزءاً من العالم الإسلامي. وفي السياق، يوجه طرابلسي نقده إلى اليسار العربي، فكراً وممارسة.. وكذلك ينتقد الكاتب الأحزاب القومية، كونها طرحت مبدأ الوحدة التعسفية مقابل التجزئة، والماضي المجيد، لردم هوة الحاضر المتخلف.

كما يشير إلى التعارض داخل القوى الثورية نفسها، التي تتشكل من قوى متضاربة من حيث الأهداف والتمثيل: قوى مدنية حداثية، تسعى لدولة القانون والحريات المدنية. وتقابلها تيارات مختلفة من الإسلام السياسي، تسعى إلى استبدال النظام الحاكم بمؤسسات قائمة على الشريعة. ما يعني ان المسار الثوري سيستغرق أمداً طويلاً، ويتشعب في اتجاهات عدة، إلى أن يصل مرحلة الحسم والتحول النوعي. يبين المؤلف أنه تتخذ الثورة شكل انتفاضة جماهيرية حاشدة، في وجه النظام القائم، تبدأ بالمطالبة بالإصلاحات، وتتجذر في مهمة إسقاط النظام بناء على تعنته، وبذلك تنتقل من حركات ضغط جماهيرية إلى ثورة، وغالباً ما تلجأ إلى العنف المسلح، رداً على تصاعد قمع أجهزة النظام الأمنية والعسكرية. وهكذا ينتهي الأمر إلى الانقسام والاحتراب الأهلي بين معسكرين مسلحين، وتتوقف النتائج على كيفية انتهاء القتال، والطرف المنتصر، أو التسوية بين طرفي الصراع، وفي كل الأحوال فإن العنف المتبادل يترك آثاره المدمّرة على البلد، وعلى المشروع الثوري برمته، سيما في ما يخص التدخل الأجنبي الذي تستدعيه الثورات عادة، ناهيك عن أن الثورات ربما تفشل، وينتصر عليها النظام الذي تحاول إسقاطه، أو أنها تعجز عن تحقيق أهدافها، فمخاض التغيير طويل وعسير، وقد يستغرق عدة جولات.

ويرجع طرابلسي القصور في عدم توقع الثورات العربية إلى نظريةٍ بالية تحكم الثقافة العربية بشكل عام وهي نظرية الاستثناء العربي أو الإسلامي وما يتبعها من تعابير الخصوصية وأولويات الواقع العربي والنقصان الديمقراطي، ولعل تكرار هذه المقولات جعل نزول الملايين للشوارع مطالبين بالحرية، بعد أن أمعنت أنظمتهم في هلهلة النسيج الوطني ومفاهيم الانتماء مفاجأةً للجميع مما شكل نقضاً لنظرية النقصان الديموقراطي لا بل دلالة على فائض في الديموقراطية.

فواز طرابلسي

أستاذ جامعي وكاتب وسياسي وناشط وباحث ومؤرخ لبناني، يدرّس في الجامعة الأميركية. يحمل دكتوراه في التاريخ من جامعة باريس. شغل منصب رئيس تحرير جريدة الحرية ومجلة بيروت المساء.

أستاذ جامعي وكاتب وسياسي وناشط وباحث ومؤرخ لبناني، يدرّس في الجامعة الأميركية. يحمل دكتوراه في التاريخ من جامعة باريس. شغل منصب رئيس تحرير جريدة الحرية ومجلة بيروت المساء، لديه الكثير من الأبحاث التي تتعلق بالشأن اللبناني والمحيط العربي، من بينها: «وعود عدن رحلات يمنية»، «عن أمل لا شفاء منه»، «صلات بلا وصل»، «عكس السير كتابات مختلفة»، «ظفار شهادة من زمن الثورة»، «فيروز والرحابنة مسرح الغريب والكنز والأعجوبة»، «الديمقراطية ثورة»، «ثورات بلا ثوّار».

قصف المدن عار، حتى من خلال الصورة.
ريف سوريا - إعزاز 2014 | تصوير: باسل حسو

عمل للفنان ماهر عبدو

أطفال نازحون في مدرسة مؤقتة بمنطقة جبل التركمان باللاذقية 2013

داعش تفرض برامج تعليمية تهدد مستقبل أطفال سورية

■ زليخة سالم

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والكرم

لم تكتف داعش بالقتل وتقطيع الرؤوس وتعليقها على الصلبان لعدة أيام أمام الأطفال، وبث هذه المشاهد المروعة على شاشات كبيرة في الساحات أمام العامة والأطفال خصوصاً، لزرع الرعب والهلع في قلوبهم، لفرض عقيدتهم وأفكارهم التي لا تمت للدين بصلة على الأهالي، وإجبارهم على التنفيذ خوفاً من مصير مماثل لما رأوه.

خطر داهم يتهدد مستقبل سورية بأكملها بتمدد داعش، وفرض برامج تعليمية على أبنائنا في المناطق التي سيطرت عليها، تهدف إلى تجهيل جيل بأكمله، والسيطرة على عقله، وتغييبه، لا تقل خطورة عن القتل إذا لم يتداركه السوريون أنفسهم بعد أن تخلى العالم أجمع عنهم، وسمح بدخول كل مجرمي العالم ومتطرفيه إلى سورية لتحويلها إلى ساحة صراع لأجندات دولية مختلفة.

التعميم الذي أصدرته داعش يوم الخميس (وألصقته في شوارع الرقة) إلى كافة المؤسسات التربوية في المناطق التي احتلتها، ويتضمن تعليمات للمنهاج الجديد الذي ألغت بموجبه مواد (التربية الفنية الموسيقية، التربية الوطنية، التربية الاجتماعية، التاريخ، التربية الفنية التشكيلية، الرياضة، قضايا فلسفية واجتماعية ونفسية، التربية الدينية الإسلامية، التربية الدينية المسيحية) بشكل كامل من المناهج الدراسية، على أن تضاف مواد تعويضية من «مديرية المناهج» في داعش.

الفنون والموسيقى بالإضافة إلى دورها في السمو بالمشاعر والروح، وتهذيب السلوك، فهي علاج للأمراض النفسية والتوتر العصبي، وقد أنشئت مشافٍ خاصة للعلاج بالموسيقى في بلاد الكفر «حسب تصنيف داعش»، وكان العرب كذلك يستخدمونها كعلاج في العصرين الأموي والعباسي، كما أن الرياضة حياة، وفضلاً عن فوائدها في الحفاظ على الصحة والنشاط فهي كذلك علاج للعديد من الأمراض، وتمارس منذ آلاف السنين.

داعش تريد حذف التاريخ والمواد المتعلقة بعلوم الفلسفة والاجتماع وحتى الديانة الإسلامية والمسيحية، ولا ندري ما هي برامجها الظلامية البديلة التي تريد زرعها في عقول أطفالنا وشبابنا في مراحل التعليم، وهي من أدق المراحل، وعقولهم النقية هي أعظم ثروة نتملكها لبناء مستقبل قائم على العلم والمعرفة.

وربما سنجد غداً صور البغدادي في المناهج بدلاً من صور الأسدين الأب والابن، أي استبدال الدكتاتورية بوجه مختلف، وعقيدة مختلفة.

ووفق التعليمات يُشطب اسم سورية ليحل محلها اسم داعش، وحذف النشيد السوري، وطمس جميع الصور التي لا توافق الشريعة الإسلامية)ولا ندري ما هي الصور التي لا توافق الشريعة، هل هي صور الشهيد يوسف العظمة ورموز التاريخ العربي، أم الخرائط الجغرافية، أم الصور التوضيحية لأعضاء الجسم في العلوم؟).

داعش تريد إلغاء الوطنية وشطب كل ما يمت لها بصلة «وطن، وطنية، وطني» واستبدالها بداعش أو بلاد المسلمين أو ولاية الشام، وكأننا كنا في بلاد الكفر وهؤلاء الزنادقة الأجانب الغرباء أتوا ليعلمونا الإيمان.

ولم أستوعب حتى الآن ما علاقة الديمقراطية والانتخابات بمادة الرياضيات، حيث جاء في التعليمات «حذف أي مثال في مادة الرياضيات يدل على الربا أو الفوائد الربوية أو الديمقراطية أو الانتخاب، وحذف كل شيء في مادة العلوم يتعلق بنظرية دارون أو رد الخلق للطبيعة أو الخلق من عدم، ورد كل الخلق لله سبحانه وتعالى».

العالم في سباق محموم في مجال العلوم والتكنولوجيا والثورات التقنية والاختراعات العلمية، والبحث عن أساليب جديدة للتعليم، وداعش تأتي من الغيب لتعيدنا إلى عصور ما قبل التاريخ، لتهدم مستقبل أطفالنا ووطننا، فمن جاء بداعش إلى سورية، وسمح لها بالصعود والتمدد، لا يكتفي بتدمير البلاد فقط بل يريد أن يضمن عودتها إلى عهود الجهل والظلمات.

داعش هذا السرطان الذي ينخر في الجسد السوري، ومرتزقته الغرباء المستوردون من الخارج، يستبيح حياتنا وثقافتنا وتاريخنا وروحنا وتراثنا ونساءنا وأطفالنا، كفّر الناس بالدين والتدين، شوه صورة الإسلام الصحيح أمام العالم، يتاجر بنا ويسرق مقدراتنا، يقدم كل الصور الخاطئة لتشويه الثورة واجهاضها، بالتعاون مع حليفه «نظام الأسد».

المناطق التي سعى النظام جاهداً إلى تهميشها وتجهيلها وتفقيرها، ومنع كل سبل التنمية عنها، رغم كل الخيرات والموارد التي تمتلكها، وجدت داعش فيها تربة خصبة لزرع أفكارها الهدامة والظلامية بالتخويف والرعب وقطع الرؤوس تارة، وبشراء الذمم تارة أخرى، فمن التحق بداعش من السوريين فليس إيماناً وتديناً منه، أو لأنه اقتنع بشريعة داعش المناقضة لشرع الله، بل لأنه تم شراؤه وإغراؤه بالمال والجاه والأفكار الخرافية.

كانت سورية تعاني من تراجع التعليم وتوجيهه، وسوء آلياته، وحشو مناهجه وكثافتها، وترجمة الكثير منها عن مناهج أجنبية وتلقينها للطلاب بشكل مناهض لآلية تدريس هذه المواد في دولها، في نظام دكتاتوري هجّر كوادرنا العلمية والثقافية، لانعدام الحاضنة لإبداعاتها في ظل نظام كان قائماً على التجهيل وإقصاء كل ذي معرفة وعلم وثقافة. علماً أن أبناءنا وعلماءنا أبدعوا وتفوقوا على أقرانهم في دول العالم التي يعملون بها، عندما فتح لهم المجال لحرية العمل والتفكير والإبداع، واليوم تأتي داعش لبناء منظومة تعليمية تخدم أهدافها وتمددها.

من يصمت على أفعال داعش الخطيرة والمرسومة بدقة، كمن صمت على استبداد الأسد ونظامه أكثر من خمسين عاماً، إلا أنه في حالة داعش سيكون الثمن أغلى بكثير، ومئات الأعوام القادمة من الظلمات والاستبداد والجهل. وعلينا أن لا نهزأ كما العادة من مثل هذه التعاميم والبيانات، وأن ندرك خطورتها ومراميها وخلفياتها والعمل على منع العمل بها، وأن لا نكرر أن داعش جرى تضخيمها، دون أن نرى أن بقاءها ولو لفترة قصيرة، يمكن أن يؤسس لخلايا ظلامية متطرفة في المستقبل القريب، لأنه يزرع في عقول غضة، كمن يكتب على ورقة بيضاء ناصعة ويشوهها بالسواد، كما المثل الشعبي، فـ «العلم في الصغر كالنقش في الحجر».

كنا نناشد في بداية الثورة لإنقاذ أطفالنا من التشرد والحزن والألم، واستنهاض المجتمع المدني لإلحاقهم بالتعليم، والآن نناشد لإنقاذ عقولهم الصغيرة من التشويه، ومن حشوها بالأفكار القاتلة الهدامة، وإلا سنجد أمامنا جيلا من المتطرفين والقتلة.

هل هذه هي سورية فعلاً، التي كانت منارة في العلم والثقافة والحضارة والتطور الصناعي قبل اجتياح الأسد الأب لها وسرقة مقدراتها وتهجير علمائها وكوادرها وتصحير عقولها، والتي دفع ويدفع أبنائها حياتهم ثمناً للانتقال إلى دولة الحرية والعدالة والقانون والمواطنة..؟

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (103191)

دمشق: 6936
ريف دمشق: 23613
حمص: 13554
درعا: 9395
إدلب: 11234
حلب: 20512
دير الزور: 6155
الرقة: 1220
السويداء: 81
حماة: 6927
اللاذقية: 993
طرطوس: 363
الحسكة: 718
القنيطرة: 767

8307 عدد الأطفال الذكور
3814 عدد الأطفال الإناث
7557 عدد الإناث
28856 عدد العسكريين
74327 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 30 / 8 / 2014
http://www.vdc-sy.info/